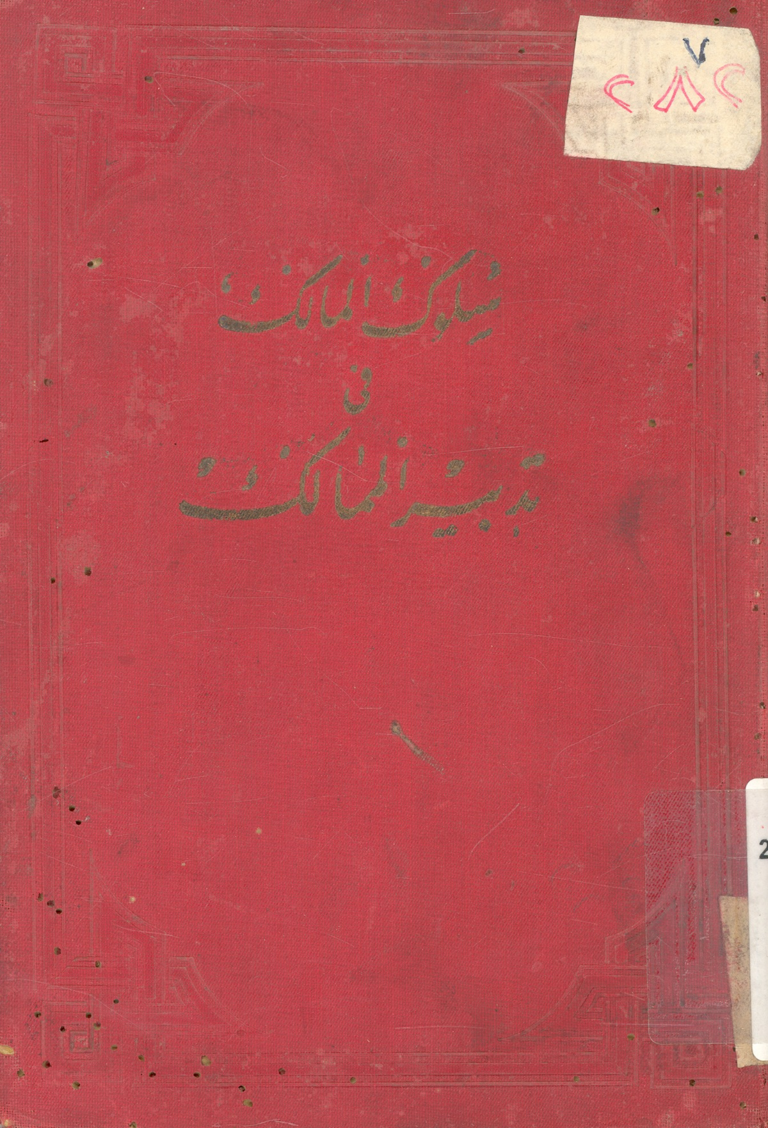

سلوك المالك
فى
تدبير الممالك

سلوك المالك

في

تدبير الممالك

تأليف العالم العلامه شهاب الدين احمد
ابن محمد بن أبي الربيع ألفه للخليفة
المعتصم بالله العباسي

طبع على نفقة حضرة الفاضل (الشيخ
محي الدين صبري الكردي)

﴿ الطبعة الاولى ﴾

بمطبعة كردستان العلمية لصاحبها فرج الله زكي الكردي
بدرب المسمط بجمالية مصر المحمية سنة ١٣٢٩ هجرية



الحمد لله الذى خلق الانسان فى أحسن تقويم * وعدّله ورفعه على كثير ممن خلق بالتكريم * وفضله وأمره بمكارم الاخلاق * تزكية لنفسه ألتى خلقها فسواها * حيث قال ﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ وشرّفه بمزية العقل * ووهب له حلية الفضل * وعرضه لبلوغ السعادة * بادراك الحق * أحمده حمداً لا يغادر معروفا الا استوفاه * ولا يجاور مخوفا الا نفاه * وأصلى علي رسوله محمد الذى أرسله بدين الحق القويم * فدعا الناس أجمعين الى صراط مستقيم * وجاهد في الله حقّ جهاده * وقام بطاعته حتى وصفه فى كتابه القديم * فقال تعالى ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه

والتابعين له في مكارم أخلاقه وشيمه وآدابه * والحمد لله الذى جعل بعد رتبة النبوة أشرف الرتب وأعلاها * وأكرمها لديه وأنماها * وأزلفها عنده وأحظاها * رتبة الخلافة اذ كانت عن الله عز وجل ورسوله صادرة و باوامرها واردة * فنجم الحق منها ساطع الاشراق * وشهاب العدل * وارى الزناد فى الآفاق * والاسلام فى ظلها ممتد الافياء * والظلال مشرق بنور بهائها في الغدوّ والاصال *

﴿ و بعد ﴾ فان الذى بعث المملوك على تأليف هذا الكتاب أمران ﴿ أما الاول ﴾ فانه وقف على كتاب مشجر في حفظ صحة البدن مختصر * ولا خفاء على كل ذى فطانة ومن له أدنى نظر فى العلوم الحقيقية ان النفس أشرف من البدن فمراعاتها اذاً واصلاح اخلاقها الصادرة عنها وتزكيتها بالعلم والعمل من أهم الاسباب * وأحرى بالتقديم عند ذوي الألباب * ﴿ والثانى ﴾ ان بعض من أوامره مطاعة مجابه * وعوارض العوائق عن ملتمساته منحسرة منجابه * ممن اصطفاه الجناب المقدس وقدمه * ورفعه على أمثاله وكرمه * فحاز بذلك المقام المحمود شرفا باقيا وحسبا * وأوتي من كل شيء فاتبع من مناهج الشيم المرضية سببا * واختص بخصائص تهتز لها أعطاف القلوب فرحا وطربا *

﴿ تجمعت لعلاه كل منقبة * وهو البليغ اذا ماقال أو كتبا ﴾
﴿ وكم له من معان زاق مسمعها * ومن فنون خطوط أبدعت عجبا ﴾

أمره ان يمضي ذلك الرأى فى انشاء الكتاب المقدم ذكره * وان

يوليه طرفا من العناية والانصاف * فجمع بين ما يعتقده من وجوب الاول في انشائه الى امتثال طاعة أمره بذلك * وظاهر ان المصنفات الموجودة فى هذا الفن ﴿أعنى علم الاخلاق والسير﴾ وما يتعلق بها تجاوز حدود الكثرة وتتشعب أنحاؤها وتختلف طرقها حتى يكاد يتعذر احصاؤها * فتأمل المملوك ما وجد من الكتب في هذا العلم تأملا شافيا * وانتزع منها ما كان قابلا للتشجير والتقسيم * على ان فوق كل ذى علم عليم * وأجرى فيه الايجاز والاختصار * واطرح الاكثر حذر الاضجار وجمع فيه بين كلام الحكماء المتقدمين * والعلماء المتأخرين * و بدأ به مستعينا بالله تعالى على عمله * مستمدا من ارشاده وتوفيقه * وهو عز اسمه مؤتيه ذلك بقدرته وطوله ومشيئته ومبنى هذا الكتاب على أربعة فصول

﴿ الفصل الأول ﴾ في مقدمة هذا الكتاب

﴿ الفصل الثاني ﴾ في أحكام الاخلاق وأقسامها

﴿ الفصل الثالث ﴾ في أصناف السيرة العقلية وانتظامها

﴿ الفصل الرابع ﴾ فى أقسام السياسات وأحكامها

﴿ الفصل الأول فى مقدمة الكتاب ﴾

ألواجب على كل انسان الابتداء به هو أن يعلم و يعتقد ان لهذا العالم واجزائه صانعا بان يتأمل الموجودات كلها هل لكل واحد منها سبب وعلة أم لا فانه يجد عند الاستقراء لكل واحد منها سببا وعلة عنه وجد * ثم ينظر الى تلك الاسباب القريبة من الموجودات هل لها

أسباب أيضاً أم لا فانه يجد لها أسباباً * ثم يتأمل و ينظر هل الأسباب ذاهبة الى مالا نهاية له* أم هي واقفة عند نهاية* أم بعض الموجودات أسباب للبعض على سبيل الدور فانه يجد القول بأنها ذاهبة الى غير نهاية محالا و يجد القول بأن بعضها سبب للبعض على الدور محالا أيضاً لانه يلزم ان يكون الشئ سببا لنفسه فتبقى الاسباب متناهية* وأقل ما يتناهى اليه الكثير هو الواحد* فسبب الاسباب موجود وهو واحد والعبارة عنه بما وجد السبيل اليه من الألفاظ والأوصاف * فلما أراد العبارة والوصف له علم انه لا يلحقه شئ من جميع الاوصاف التى شاهدها وعلمها لتفرده بذاته ولأنه منزّه عن كل ما أحسه وعرفه ولم يجد طريقاً أحسن من أن ينظر في الموجودات التي لديه * فاذا تأملها وجدها صنفين فاضلا وخسيسا * ووجد الأليق بسبب الأسباب وموجدها الواحد الحق ان يطلق عليه أفضلها مثل انه رأى الموجود والمعدوم * وعلم ان الموجود أفضل من المعدوم* فاطلق القول عليه بأنه موجود* ورأى الحي وغير الحي وعلم ان الحى أفضل فاطلق عليه القول بانه حي * ورأى العليم وغير العليم فأضاف اليه العلم * وكذلك جميع الأوصاف* والواجب عليه اذا أراد صفته تعالى أن يخطر بباله انه منزه عن أن يشبه تلك الصفة بل هو أفضل منها وأشرف وأعلى لانه سبب وجود كل صفة . ثم اذا تأملت أجزاء العالم كلها وجدت أفضلها ما هو ذو نفس وتجد أفضل ذوي الأنفس الذى له الاختيار والارادة والحركة

عن روية وأفضل ذوى الارادة والحركة عن روية الذى له النظر البليغ في العواقب وهو الانسان الفاضل *

وأن يعلم(١) ان الطبيعة لا تفعل شيئا عبثا ولا باطلا فكيف مبدع الطبيعة وموجدها * والبارى تعالى حيث وهب الاختيار والروية والفكر للبرية لم يكن ليهمل أمرها وكان من عدله ان ينهج لنا نهجا نسلكه * وظاهر ان فى الناس وعقولهم وقوى أنفسهم تفاضلا بيناحتى ان الواحد منهم يفوق بالفن الواحد جميع ذوى جنسه و يعجز الباقون عنه فاقتضت حكمته ان يجعل فيهم من أفضلهم واسطة بينه و بينهم يلقى اليه ما ينتظم به أمر معاشهم ومعادهم ويقدره علي ابلاغهم حتى يقوم بتبليغ ما يلقى اليه ويقدر بتلك القدرة وذلك الالهام على ايضاح السبيل الداعية الى الحق * ثم ينبغي ان يعلم ان المكافأة من فضله واجبة * وانها انما تجب فى الاعمال المقرونة بالنيات * والدليل على ذلك أن المرأ لا يجازي على ما يعمله فى نومه ولا علي ماليس بارادته واختياره * مثل سعاله وعطاسه وحياته وموته * ولا علي غذائه واستفراغه * وان كان فيهما بعض الارادة * وأول ما يستدلّ به المرأ على وجوب المكافأة هو أنه اذا عرف ربه واعتقد ماذكرناه من وحدانيته وتنزهه عن صفات المخلوقين * واهتدى بمعرفته ومعرفة رسوله صلى الله عليه وسلم وآله وانتهج المنهج الواضح وجد في صدره سعة * وفى أحواله استقامة * ومن الأشرار سلامة * وعند الاخيار حظوة

---

(١) قوله وأن يعلم معطوف على قوله أن يعلم ويعتقد الذي فى صدر الفصل

وفي معاشه سـدادا بمقدار مايفعله وينويه منه • فاذا تيقن ذلك فينبغي له ان يقدم على سياسة أحواله بقلب قوىّ ونية صادقة وصدر واسع ثقة بأن ما يأتيه من ذلك وان قل يجدي عليه نفعاً يجلّ * وينبغى ان يعلم ان البارى جات قدرته خلق الخلائق بحكمته فأبدعها ابداعا * وجعلها أجناساً وأنواعاً * على صور مختلفة * وأشكال متباينـة * وأودعها من السرائر الالهية * ما أفرد كل واحد منها بصورة مضمنة نوعاً من الحـكمة يبرزه الفعل الصـادر عنها نحو غاية محدودة لايشاركها فيها غيرها وأشاع فيها مع اختلاف صورها وتباين غاياتها من نور الربوبية ما حرك كلامنها نحو المبدأ الذى منه كان انبعاثه * واختص الانسان من بينها بأكمل صورة وأفضل هيئة * فعدّل مزاجه واخلاطه * وهيأ له آلة الادراك والاحاطة * وأفاض عليه من فايض جوده وخيره ونور جوهريته * ما استنارت به نفسه * وأيد منه جسمه * فسرت قوته * في جميع مادونه من أصناف الموجودات حتى تملكها بطشا بجوارح جسده * وأحاط بمعارف نفسه المشتملة على معانيها وأسبابها على معرفة جوهر كل واحد منها وماهيته * ولمـا كان غرضنا في هذا الـكتاب الابانة عن الـكمال الخاص بنوع الانسان الحاصل باستعمال الفضائل المأمور بها واجتناب الرذائل المنهي عنها * احتجنا الى ذكر القوى المنبعثة بالفيض الاول وما فيها من الفضائل التى شأنها ان تظهر في هذا العالم على نفس طاهرة وطبع زكيّ وعقل نقيّ من دنس الآراء والمذاهب

الزائغة عن الحق * فتتولى تدبير العالم وتسويس أهله بالدين القيم * والسنة العادلة وتخليصهم من أيدى المتسلطين عليهم الذين من شأنهم ابطال آثار الأراء الشرعية * وأزالة رسوم الرياسات المدنية * فيرتب الناس مراتبهم و يصفهم تصفيفاً يعرف كل امرئ مقامه ويقف عند الذى حدّ له امامه و ينخع (١) بالطاعة لمن فوقه * ولا ينزع الى المنافسة لمن علاه فى القدر والسياسة فتجرى الامور الى غاياتها التى حددتها الحكمة الالهية والشرعة النبوية * والعادات العقلية * وتأمن العباد وتعمر البلاد * وتطرد الرياسات باجمعها منقادة لرياسة واحدة ورئيس واحد * وهذا الانسان في أكمل المراتب الانسانيــة * وفي أعلى درجات السعادة الابدية * واستحقاقه ذلك باجتماع هذه الفضائل فيه

﴿ الأولى ﴾ أن يكون له قــدرة على جودة التخيل لكل مايعمله من أعمال السعادة *

﴿ الثانيــة ﴾ أن يكون صحيح الاعضـــاء تواتيه على ما يريده من الاعمال البدنية *

﴿ الثالثة ﴾ أن يكون جيــد الفهم والتصور لما يقال له عالما بكتاب الله عاملا به *

﴿ الرابعــة ﴾ أن يكون جيد الحفظ لمـا يراه و يسمعه ولا ينسى مايدركه من العلم *

---

(١) قوله ينخع أي يذل ويخضع

﴿ الخامسة ﴾ أن يكون جيد الفطنة ذكيا اذا رأى على الشئ أدنى دليل فطن له *

﴿ السادسة ﴾ أن يكون حسن العبارة يواتيه لسانه على ابانة جميع ما في ضميره *

﴿ السابعة ﴾ أن يكون محباً للتعلم والاستفادة منقاداً سهل القبول لا يؤلمه تعب التعلم *

﴿ الثامنة ﴾ أن يكون محباً للصدق وأهله * كارها للكذب وأهله طبعاً لا تكلفاً *

﴿ التاسعة ﴾ أن يكون غير شره على الشهوات* مبغضاً لما ساءت عاقبته من اللذات *

﴿ العاشرة ﴾ أن يكون كبير النفس محباً للكرامة تعظم نفسه عن كل مايشين من الأمور*

﴿ الحادية عشر ﴾ أن يكون محبا للعدل والصدق وأهلهما مبغضاً للجور والكذب وأهلها منصفاً من نفسه *

﴿ الثانية عشر ﴾ أن يكون قويّ العزيمة علي ما ينبغى غير خائف من الموت ولا ضعيف النفس *

﴿ الثالثة عشر ﴾ أن يهون عنده الدينار والدرهم وسائر الاعراض الدنيوية الفانية * فان تفرّد بعض من هذا العالم بهذه الخصال انتشرت محاسنه في أطراف مهاد الارض * وشاع جميل ذكره في أكناف السبع الشداد

في الطول والعرض • فمتى اقتضت العناية الأزلية ايداع نسمة يسمو قدرها ويعز وصفها نظم هذه الجواهر في سلك حواسها الشريفة ومحالها الكريمة وانخراط هذه الدرر في عقد عقائدها الصحيحة وخواطرها السليمة تداعت(١) أسباب الاقبال لاجتماعها وتماطت السعادة عند القبول لاتباعها * ومتى وفقت خواطره لحماية حوزة ساعدته الأقدار واذا اهتمت افكاره بارتفاع دهماء لا تعتريه الاخطار * ومن السعادة لاهل هذا الزمان أن امامهم ومتقلد سياستهم ومدبر ملكهم من هو مجمع المحاسن المذكورة • ومعدن الفضائل المشهورة * وممن جمع هذه المحامد المشكورة من جاد الزمان ببقائه على الدين وذويه * ومنّ الدهر بوجوده على الاسلام وبنيه * وهو سيدنا ومولانا وما لكنا خليفة الله في العباد * والسالك سبيل الرشاد * المعتصم بالله امير المؤمنين نجل الخلفاء الراشدين * والأئمة المهديين * الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون * الذى اجتمعت فيه الخصال الموجبة للخلافة والامامة من مواتاة الطبع لقول الفضائل واستعمالها في مواضعها واظهارها فى نفسه أولا ثم في سائر أهل مملكته شريفها ودنيئها عالمها وجاهلها كل واحد منهم على حسب ماتوجبه طبقته • فعمر الدنيا وحصنها * ونشر عدله فيها وأمنها * وتتبع المعروف فأيده وأقامه والمنكر فدحضه وقوّض خيامه وسمت همته في الطاعات • وانتهت الى اقصى الغايات *

(١) قوله تداعت جواب متى المتقدم

فقد خضعت له الامم وانقادت له الممالك ونخع له الاعداء وذلت له السادات * ورضيت برياسته الملوك • وسكنت الحروب • وأتلفت القلوب وكسد الجهل • وقامت سوق العلم • وانتشر العدل • وزال الظلم واتفقت الآراء واستقامت الامور • وبطل الاختلاف • ولزم كل حظه • ووقف على ظله وعرف مقداره • فالرئيس يأمر وينهى • والمرؤس يسمع ويطيع * وانما التأم ذلك كله بتيقظه خلد الله تعالى ملكه واستفراغه وسعه في مصالح الخلق • واستعمال همته الشريفة فى تشييد الحق وحسن سياسة مملكته وتدبير رعيته ومراعاة اسبابها فهو بذلك منصف لها من نفسه ولبعضها من بعض وان امرأ كان من شجرة الرسالة منزعه وفي بحبوحة الامانة مربعه ومن أسرة النبوة مخرجه لخليق ان يكون لرضى الله حائزا * وبالزلفى لديه فائزا * وبالنعماء منه مغمورا • وبالحسنى منه مشمولا * وهذا ما انتهى اليه وسع المملوك من نعت شيمه واخلاقه وكرمه وطيب أعراقه اذ أكثرها يضيق عن وسعه باع الكلام • وتعجم ألسنة الأقلام *

﴿ كما قيل شعر ﴾

لا أحمل اللوم فيها والغرام بها * لا كلف الله نفسا فوق ماتسع

جعل الله تعالى طول مدته وافيا * على عرض الدنيا وظل دولته ضافيا • كالسماء العليا وهنأه بهذه الهبة وبارك له فى هذه النعمة حتى يملأ الخافقين عدلا شائعا كما ملأهما فضلا بارعا * ويعم المشرقين فعلا جميلا كما عمهما طولا جزيلا ممتعا باركان حفدته مبلغا فيهم كل مأمول ومروم مع

طول العمر والسلامة من حوادث الزمان وغيره . انه جواد كريم *
وقد آن أن نأتي بما وعدنا به ان شاء الله تعالى *ونسأل الله التوفيق
والهداية الى سواء الطريق بمنه ولطفه وكرمه *

الفصل الثاني في أحكام الاخلاق وأقسامها

قد ثبت بالبرهان الصادق * ان الانسان من بين سائر الحيوان * ذو فكر
وتمييز فهو أبداً يختار من الأمور أفضلها *ومن المراتب أشرفها * ومن
المقتنيات أنفسها * اذا لم يعدل عن التمييز فى اختياره * ولم يغلبه هواه
فى اتباع أغراضه * وأولى ما اختاره الانسان لنفسه * ولم يقف دون
بلوغ غايته * ولم يرض بالتقصير عن نهاية تمامه وكماله * اذ هو من تمام
الانسان وكماله * ان يكون مرتاضا بمكارم الاخلاق ومحاسنها . متنزها
عن مساويها ومقابحها * آخذاً في جميع أحواله بقوانين الفضائل عادلاً
في أفعاله عن طرق الرذائل * واذا كان ذلك كذلك فقد وجب عليه
ان يجعل قصده اكتساب كل شيمة سليمة من المعائب * و يصرف همته
في اقتناء خيم(١) كريم خالص من الشوائب * وان يبذل جهده فى
اجتناب كل خصلة مكروهة * و يستفرغ وسعه فى اطراح كل خلة مذمومة *
حتي يحوز الكمال بتهذيب خلائقه * ويكتسى حلل الجمال بدماثة
شمائله * فانه اذا حاسب نفسه وأجاد فكره علم ان الضرر في مساوي
الأخلاق أكثر من النفع وان الذى يعده نفعاً وليس هو نفعاً على

(١) قوله خيم بكسر الخاء أى سجية وطبيعة

الحقيقة هو يسير جداً غير باق ولا مستمر وان هذا اليسير الذى يعده
نفعاً لا يفي بالضرر الكثير والعار الدائم المتصل . ويعلم أيضاً ان الشرور
والخبث يجلبان غلبة الشر ويوحشان منه الناس * ألا ترى ان من
تشرّر قصده الناس بالشرّ واستعدوا لأذيته واحترزوا منه وكرهوا نفعه
وحظروا عليه وجوه الخير فقد بان بما ذكرنا فضيلة الخلق الجميل ورذيلة
ضده . فأما مراتب الناس في قبول هذا الأدب الذي سميناه خلقاً
والمسارعة الى تعلمه والحرص عليه فأنها كثيرة وهي تشاهد وتعاين
فيهم وخاصة فى الأطفال فان أخلاقهم تظهر فيهم منذ مبدأ نشوهم ولا
يستروها بروية ولا فكر كما يفعل الرجل التام الذى انتهى فى نشوه
وكماله الى حيث يعرف من نفسه ما يستقبح منه فيخفيه بضرب من
الحيل والافعال المضادة لما فى طبعه وأنت تتأمل من اخلاق الصبيان
واستعدادهم لقبول الأدب ونفورهم عنه وما يظهر في بعضهم من القحة
وفي بعضهم من الحياء وكذلك ما يرى فيهم من الجود والبخل والرحمة
والقسوة والحسد وضده الي سائر الاحوال المتفاوتة ما تعرف به مراتب
الانسان فى قبول الاخلاق الفاضلة وتعلم منه أنهم ليسوا على مرتبة
واحدة وان فيهم المواتي والممتنع والسهل والسلس والفظّ العسر والخير
والشرير والمتوسط بين هذه الاطراف فى مراتب لاتحصى كثرة * واذا
أهملت الطباع ولم ترض بالتأديب والتقويم نشأ كل انسان على شوم
طباعه وبقي عمره كله على الحال التى كان عليها فى الطفولية وتبع

ماوافقه بالطبع اما الغضب واما اللذة واما الدعارة واما الشره فينبغي ان نقول الآن فى الحيلة التي يمكننا بها ان نقتنى الأخلاق الجميلة فأقول انه يجب أولا ان نحصى الاخلاق خلقاً خلقاً ونحصي الافعال الكائنة عن خلق خلق * ومن بعد ذلك ننظر ونتأمل أىّ خلق نجد أنفسنا عليه وهل ذلك الخلق الذى اتفق لنا منذ أول أمرنا جميل أو قبيح * والسبيل الى الوقوف على ذلك أن نتأمل أىّ فعل اذا فعلناه لحقنا من ذلك الفعل لذة وأى فعل اذا فعلناه نتأذى به فاذا وقفنا عليه نظرنا الي ذلك الفعل أهو فعل يصدر عن الجميل أم هو صادر عن الخلق القبيح * فان كان ذلك كائنا عن خلق جميل قلنا ان لنا خلقاً جميلا ّما وان كان ذلك كائناً عن خلق قبيح قلنا ان لنا خلقا ّما قبيحاً * فبهذا الوجه نقف على الخلق الذى نصادف انفسنا عليه أىّ خلق هو وكما ان الطبيب متى وقف على حال البدن بالأشياء البالغة لاحواله نظر فان كانت الحال التى صادفه عليها حال الصحة احتال في حفظها على البدن * وان كان مايصادف عليه البدن حال سقم اعمل الحيلة فى ازالته عنه كذلك متى صادفنا أنفسنا على خلق جميل احتلنا فى حفظه * وان صادفناها على خلق قبيح استعملنا الحيلة فى ازالته عنها فان الخلق القبيح سقم نفساني فينبغي ان نحتذى في ازالة اسقام النفس حذو الطبيب فى ازالة اسقام البدن * ثم ننظر بعد ذلك الخلق القبيح الذى صادفنا انفسنا عليه هل هو من جهة

الزيادة أو النقصان وكما ان الطبيب أيضاً متى صادف البدن أزيد حرارة أو أنقص رده الى التوسط من الحرارة بحسب الوسط المحدود فى صناعة الطب * كذلك متى صادفنا أنفسنا على الزيادة أو النقصان في الأخلاق * رددناها الي الوسط المحدود فى هذا الكتاب * ولما كان الوقوف من أول وهلة على الوسط عسراً جداً التمسنا الحيلة في ايقاف الانسان خلقه عليه والقرب منه جداً * وذلك ان ننظر الخلق الحاصل لنا فان كان من حيث الزيادة عوّدنا أنفسنا الأفعال الكائنة عن ضده الذى هو من جهة النقصان وان كان من حيث النقصان عودناها الافعال الكائنة عن ضده الذى هو من جهة الزيادة *ونديم ذلك زمانا ثم نتأمل وننظر أي خلق حصل فان الخلق الحاصل لايخلو من ثلاثة أحوال وهي

﴿ اما الوسط ﴾ ﴿ واما المائل عنه ﴾ ﴿ واما المائل اليه ﴾ فان كان الحاصل هو القرب من الوسط فقط من غيران يكون قد جاوز الوسط الى الضد الآخر دمنا على تلك الافعال بعينها زمانا آخر الى ان ننتهي الى الوسط وان كان الحاصل قد جاوز الوسط الى الضد الآخر عدنا ففعلنا الخلق الأول ودمنا عليه زمانا ثم نتأمل

وبالجملة كلما وجدنا أنفسنا مالت الى جانب عوّدناها الجانب الآخر ولا نزال نفعل ذلك حتى نبلغ الوسط أو نقارب به جداً

ولما كان غرضنا في هذا الفصل من هذا الكتاب بيان السعادة

الخلقية وأن تصدر عنا الافعال جميلة كما قدمناوجب ان نقول قولا يتبين به ما الخلق وما سبب اختلافه في الناس وما المرضى منه المغبوط صاحبه المتخلق به * وما المشنى الممقوت فاعله المتوسم به * ونفع هذا الكتاب يشمل ثلاث طبقات من الناس

﴿الطبقة الاولى﴾ تشمل من كانت له عيوب كثيرة وهو يظن أنه كامل

﴿ووجه منفعته﴾ أنه اذا تكرر عليه الاخلاق المذمومة تيقظ لها وأنف لنفسه منها فربما سلك الصواب

﴿ الطبقة الثانية ﴾ تشمل من حصل له بعض الفضائل واعوزه بعضها فهو متوسط

﴿ ووجه منفعته ﴾ أنه اذا وقف على محاسن الاخلاق تاقت نفسه الى ما أخل به منها فتبعه واستعمله

﴿ الطبقة الثالثة ﴾ تشمل من هو في غاية الكمال بعيدا من المعائب

﴿و وجه منفعته ﴾أنه اذا مر بسمعه ذكر الاخلاق الجميلة رأى انها سجاياه فالتذّ بذلك لذة عظيمة ويزيد منها بحسب لذته

فنقول ان الخلق حال للنفس داعية لها الى أفعالها من غير فكرة وروّية وينقسم هذا الى قسمين وهما

﴿مايكون طبيعيامن أصل الخلقة﴾ كمن يحركه أدنى شيء نحو الغضب وكمن يجبن من أيسر شيء وكالذى يفزع من أدنى خوف

﴿ وما يكون مستفادا بالعادة ﴾ومبدأ ذلك بالفكر والروّية ثم يستمر

عليه أولا فأولا حتى يصير عادة وملكة يقارب الطبيعي

﴿واعلم﴾ أن لكل شخص قوتين عاقلة وبهيمية ولكل واحدة منهما ارادة واختيار وهو كالواقف بينهما ولكل واحدة منهما نزاع غالب* فنزاع القوة البهيمية نحو مصادفة اللذات العاجلة الشهوية* ونزاع القوة العاقلة أعني النطقية نحو العواقب المحمودة* وأول ماينشأ الانسان يكون في عداد البهائم الى أن يتولد فيه العقل أولا فأولا وتقوى فيه هذه القوة* فالقوة البهيمية اذاً أغلب عليه وكل ما كان أغلب كانت الحاجة الى اخماده وتوهينه وأخذ الاهبة له أشد فواجب على كل من يروم نيل فضيلة ان لايتغافل عن تيقظ نفسه في كل وقت وتحريضها على ماهو أصلح لها وان لايهملها ساعة واحدة فانه متى أهملها وهي حية والحي متحرك لم يكن لها بد من ان تتحرك نحو الطرف البهيمي* واذا تحركت نحوه تشبثت ببعض منه حتى اذا اراد ردها عما تحركت نحوه لحقه من النصب اضعاف ما كان يلحقه لو لم يهملها* والمرء لايخلو في جميع تصرفاته من ان يلقي امراً محموداً أو مذموماً وله في كل واحد من الامرين فائدة يمكنه استفادتها ويجد في كل واحد منهما نفعاً يمكنه جذبه الى نفسه ويصادف في كل واحد منهما موضع رياضة لنفسه وهو ان يحتال للتمسك بذلك الامر المحمود الذي يلقاه أو يجد فيه ان وجد السبيل الى التمسك به أو يتشبث بالتمسك به متى ماوجد الفرصة لذلك وهو لاشك واجد السبيل الى أحد هذه السبل الثلاث واذا تلقاه الامر

المذموم فليجتهد في التحرز منه والتباعد عنه وان لم يجد الى ذلك سبيلا وهو واقع فيه فليبالغ فى نفيه عن نفسه بغاية ما أمكنه فان لم يمكنه التبري منه فليعزم فى نفسه أنه اذا تيسر له الخلاص منه لا يعود الى اسبابه * وليقبح الى نفسه دواعي ذلك الامر ولينبهها على الاعتبار بمن نالهم مضارّ مثلها فقد ظهر ان المرء تصادف احواله خيرها وشرها موضع الرياضة لنفسه والاصلاح لاخلاقه * وقد أجمعت الفلاسفة على ان جميع أجناس الفضائل التي لا يحتاج في اقتناء كمال النفس الى غيرها مجتمعة في أربعة أصول يتفرع منها فروع كثيرة * وسيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى وهى

﴿الحكمة﴾ وهى علة صحة الفكر والروية والتميز في سائر الاشياء وقوامها في القوة الفكرية

﴿والعفة﴾ وهى علة الورع وضبط النفس عن الشهوات المؤذية الفانية وقوامها فى القوة الشهوانية

﴿والشجاعة﴾ وهى علة الاقدام وان لا ينهزم عند الشدائد والمخاوف وقوامها فى القوة الغضبية

﴿والعدالة﴾ وهي علة صحة الافعال ووضعها في مواضعها اللائقة بها وقوامها في اعتدال هذه القوى

﴿ والمعاني المحتاج الى معرفتها قبل ذكر ما نحن ذاكروه اربعة وهى ﴾

﴿المعنى المسمي خيرا﴾ وهو الامر المرغوب فيه لذاته

﴿والمعنى المسمى شرا﴾ وهو الامر المرغوب عنه لذاته

﴿والمعني المسمى نافعا﴾ وهو السبب المؤدى الى الخير ﴿ والمعنى المسمى ضاراً ﴾ وهوالسبب المؤدى الى الشر * ونقول انه مهما اختلف الفلاسفة الاقدمون المشهورون فيما اختلفوا فيه من أمر النفس فلم يختلفوا ان لها قوى ثلاثا * من فكرة وشهوة وغضب * بل كلهم متفقون على ذلك والحق أنه ليس الامر الذى يصدر عنها واحداً فليست تفعل ذلك بقوة واحدة بل بقوى ثلاث مختلفة تفكر بواحدة وتشتهي بأخرى وتغضب بأخرى * والمثال فى ذلك أنا نقول فى العين أنها تبصر من غير ان يكون كلها الذى يبصر بل ناظرها وحده * ونقول ان ناظر العين يبصر من غير ان يكون كله الذى يبصر بل الانسان الذى فيه فكذلك أنه ليست النفس بجملتها تشتهي وتفكر وتغضب بل قوي منها معروفة * تنفرد كل واحدة بواحدة وهى

﴿ القوة الفكرية ﴾

وهى العاقلة الفكرية ومسكنها الدماغ وأحد قواها الفهم (١) الفارق بين الحق والباطل والادب (٢) بحركها نحو أفعالها الصالحة

(١) قوله وأحد قواها الفهم الخ الفهم فى عرف الحكماء هو جودة للذهن وشدة فى استعداده لاكتساب الاراء

(٢) قوله والأدب الخ للأدب عدة معان يراد منها ههنا ملكة الصلاح أعنى ملكة اثمارها للعاقلة النظرية

وغرضها الحق (١) وبها يكون الفكر (٢) ويختص بها الانسان
﴿ فان اعتدلت ﴾ فصاحبها يوصف بجودة العقل وصحة الفكر والتميز
﴿ وان خرجت عن الاعتدال فاما الى الزيادة ﴾ فانه يوصف بالمكر
والخبث ﴿ أو النقصان ﴾ فانه يوصف بالبلادة والعي

﴿ والقوة الغضبية ﴾

وهى الحيوانية السبعية ومسكنها القلب ويشارك الانسان بها الحيوان
وأحد قواها (٣) حب الغلبة والرياسة وبها يدفع مالا يوافق بدنه ونفسه
﴿ فان اعتدلت ﴾ فصاحبها يوصف بالشجاعة والفروسية وقوة القلب
﴿ وان خرجت عنه فاما الى الزيادة ﴾ فانه يوصف بالتهور وكثرة الغضب
﴿ أو النقصان ﴾ فانه يوصف بالجبن وضعف النفس

﴿ والقوة الشهوية ﴾

وهي المغذية النباتية ومسكنها الكبد ويشارك بها الحيوان النبات

---

(١) قوله وغرضها الحق لما كان عمل الخير انما يراد لمعرفة الحق اقتصر عليه ولم يقل وغرضها معرفة الحق وعمل الخير .وفيه اشارة لتلاقي قوتيها في نقطة واحدة

(٢) قوله الفكر هو حركة النفس فى المعقولات ويقابله التخيل وهو حركتها فى المحسوسات

(٣) قوله وأحد قواها حب الغلبة الخ كيف جعل حب الغلبة أحد قواها وهو أحد آثارها فليتأمل

وبها يبقى التناسل والأدب يكسبها السكون (١) وبها يطلب الموافق من الأغذية ﴿ فان اعتدلت ﴾ فصاحبها يوصف باعتدال الشهوة في المآكل والمشارب ﴿ وان خرجت عنه فاما الى الزيادة ﴾ فانه يوصف بالشره والنهم ﴿ أو النقصان ﴾ فانه يوصف بكلال الشهوة وضعفها * فهذه الاصول والمبادى ومنها تنشاء السجايا والاخلاق في الانسان بتوسط تلك الفضائل التي تقدم ذكرها ولها في أفعالها الصادرة عنها أفعال مختلفة عند الافراط والتوسط والتفريط فما كان عن التوسط كان محموداً وسمي بالمحاسن والفضائل * وما كان عن غير التوسط كان مذموماً وسمي بالمساوى والرذائل

﴿ فالفضائل ﴾ كالحكمة والعفة واخواتهما ولها أسباب وعلل كالتخطيط والبحث والتعلم * ولواحق كالفهم والفقه * وآثار كتمييز الصدق والخير وايثارهما * وأجزاء كالتؤدة وحسن الروية

﴿ وأما الرذائل ﴾ فكالجبن والخرق والخور * ولها علل كالنسيان والبلادة * ولواحق كالندامة والبله * وأجزاء كالطيش وسوء الروية وأعمال كاجراء الاشياء على ضد الصواب

﴿ وهذه الفضائل يقل وجودها في الناس ﴾

﴿ وينقسمون بحسبها الى أقسام ﴾

فمنهم من لا يقبل طبعه العادات الحسنة

---

(١) قوله والأدب الخ يعني بالادب ملكة ائتمارها للعقل

ومنهم من يقبل كثيراً منها و ينبو طبعه عن بعضها
ومنهم من يستعملها بطبعه وهو الكامل
ومنهم من اذا نبه اليها تنبه واستعملها بقدر طاقته

﴿ والرذائل موجودة فى الاكثر غالبة عليهم ﴾

﴿ وينقسمون بالنسبة اليها على أقسام ﴾

فمنهم من لا ينتبه فاذا انتبه أحسّ بقبحه
ومنهم من اذا أراد العدول عنها لم يسعده طبعه
ومنهم من يتظاهر بها وبالانقياد اليها وهم الأشرار
ومنهم من ينتبه بجودة الفكر الى قبحها فيأنف

وهذه القوى أعني الناطقة والغضبية والشهوية لا تخلو في سائر أحوالها ان تكون معتدلة بأجمعها أولا

﴿ فان اعتدلت ﴾ صدر عنها العدل وهو فضيلتها بأجمعها * وخاصيته تقسيم الاشياء وتقسيطها ووضع كل شيء موضعه * ويتفرع عنها فروع منها ﴿ العبادة ﴾ وهي تعظيم الله تعالى وتمجيده وطاعته واكرام رسله عليهم السلام

﴿ والصداقة ﴾ وهي محبة صادقة واهتمام بجميع اسباب الصديق
﴿ والألفة ﴾ وهي اتفاق الآراء على التعاون في تدبير العيش
﴿ وصلة الرحم ﴾ وهي مشاركة ذوى اللحمة فى الخيرات ومواصلتهم
﴿ والمكافأة ﴾ وهي مقابلة الاحسان بمثله والزيادة عليه بما يجب

﴿وحسن الشركة﴾ وهو الاعتدال فى الاخذ والاعطاء والانصاف

﴿ وحسن القضاء ﴾ وهو المجازاة بغير منّ ولا ندم

﴿ والتودد ﴾ وهو طلب المودات بحسن اللقاء وجميل الأفعال وينقسم الى أربعة أقسام

﴿أحدها﴾ من قبل الطبيعة كمودة الآباء للأبناء والابناء لآبائهم

﴿ الثاني ﴾ من قبل المصاحبة كالصداقة والمخالطة والمعاشرة

﴿ الثالث ﴾ غريب كوصية قوم مّا برجل مّا ليعتنى به

﴿ونزيد قسما رابعا﴾ وهو الذي يكون من حب الجماع ويسمى عشقا

﴿ وان خرجت عن الاعتدال ﴾ صدر عنها الجور وهو رذيلتها باجمعها وخاصيته تعدى الحق فى كل شيء ويتفرع منه فروع منها

﴿ الظلم ﴾ وهو التوصل الى كثرة المقتنيات من حيث لا ينبغي كما لا ينبغي

﴿والانظلام﴾ وهو الاستخذاء والاستحابة فى المقتنيات لمن لا ينبغى

﴿ والنذالة ﴾ وهى منقصة تنازع الى الجمع من كل جهة وتحدث بغض الناس

﴿ والعجز ﴾ وهو منقصة النفس ومن لوازمه ضعف الامل وغلظ الكلام

﴿ والخور ﴾ وهو أن يجزع الانسان ويتغير سريعاً من أيّ شيء ورد عليه

ولنذكر الآن فضائل كل قوة ورذائلها على الانفراد ولنبدأ بذكر فضائل القوة الناطقة فنقول ان أول مايحدث لها

﴿ النزاع ﴾ وهو انبعاث النفس نحو الشيء الملائم

﴿ ثم الموقعة ﴾وهو مصادفة الحى مطلوبه وغرضه

﴿ ثم الاحساس ﴾وهو قبول صور المحسوسات

﴿ ثم التخيل﴾وهوثبات صور المحسوسات فى النفس بعد مفارقتها

﴿ ثم التصور ﴾ وهو افراد صورة صورة عن صاحبتها

﴿ ثم الظن ﴾وهو تطلب النفس الحكم على الأشياء من ظواهرها

﴿ ثم الفكر ﴾وهو التطوف نحوالمعارف *

﴿ ثم الرأى ﴾ وهو غاية الفكر ونهايته ونتيجته

ومن فضائلها

﴿ العقل ﴾ وهو الحكم على حقيقة المطلوب بما هو عليه

﴿ والذكر ﴾ وهو حصول ما سبق وجوده في الذهن

﴿ والحفظ ﴾ وهو ثبات صور المعاني في النفس *

﴿ والذكاء ﴾ وهو سرعة انقداح النتائج وسهولتها على النفس

﴿ والحكمة ﴾ وهى ادراك أفضل المعلومات بأفضل العلوم

﴿ والفهم ﴾ وهو تيسر الحصول على المعانى الواردة على النفس

﴿ والتميز ﴾ وهو حصول الفرق بين الحق والباطل والخير والشر

﴿ والنطق ﴾ وهو شرف الانسان و به فضل على الحيوان

﴿ والصدق ﴾ وهو الاخبار عن الشئ بما هو عليه

وأما الرذائل الصادرة عنها فهى هذه

(البلادة) وهى تعطيل هذه القوة واطراحها من غير قصور في أصل الخلقة
(والمكر والخبث) وهو اضمار الشر للغير واستعمال الغيلة والخديعة
(والجهل) وهو ترك استعمال الصواب لعدم المعرفة
(والكذب) وهو الاخبار عن الشئ بخلاف ما هو عليه وهو مذموم
(والحمق) وهو معرفة الصواب وترك العمل به * وقيل تصور الممتنع بصورة الممكن
(والخرق) وهو الحركة عن غير حاجة ومبادرة الأمور من غير توقف
(والغدر) وهو الرجوع عما يبذله الانسان من نفسه مما يضمن الوفاء به
(والتبذل) وهو اطراح الحشمة والاكثار من الهزل ومجالسة السفهاء
(والنميمة) وهى ابلاغ شخص عن آخر كلاما مكروها *
(والرياء) وهو خلق مذموم غرض صاحبه حسن اعتقاد الناس فيه
(والسفه) وهو استعمال الفكر فيما لا ينبغى وهو الجربزة

فضائل القوة الغضبية

(هي الشجاعة) وهي التهاون بالآلام والاقدام على ما ينبغى كما ينبغي
(والحلم) وهو ترك الانتقام مع القدرة ومجازاة الاساءة بالاحسان
(والرحمة) وهى خلق مركب من الود والجزع لتألم المرحوم مما يلحقه

(والبشر) وهو اظهار السرور بمن يلقاه والاقبال على محادثته

(وحسن الخلق) وهو من شيم الانبياء وأخلاق الأولياء وأدب الله تعالى

(والعفو) وهو أنفس الاخلاق وهو نفس الفضل

(وعظم الهمة) وهو استصغار مادون النهاية من معالي الأمور وتنقسم الى أقسام

(الأنفة) وهى نبو النفس عن الأمور الدنية

(والحمية) وهي الغضب عند الاحساس بالنقص

(والغيرة) وهي اظهار الغضب فيما يخشى عاره

(والتثبت) وهو فضيلة يقوى بها الانسان على احتمال الآلام

(والتواضع) وهو اظهار الخمول واجتناب المباهات وترك العجب

(وكبر النفس) وهو الاستهانة باليسار والاقتدار على حمل الكرامة وضدها

(والنجدة) وهي ثقة النفس عند المخاوف حتى لا يجاورها فزع

(والشهامة) وهي الحرص على الأعمال العظام توقعاً للاحدوثة الجميلة

(واحتمال الكدّ) وهو قوة استعمال البدن فى الاعمال الحسنة وحسن العبادة

﴿ وأما الرذائل الصادرة عنها فهي ﴾

(الكبر) وهو استعظام المرء نفسه واستحسانه فعله دون فعل غيره

(والعبوس) وهو التقطيب عند اللقاء واظهار الكراهة وقلة التبسم

(والجبن) وهو الجزع عند المخاوف والاحجام بأدنى مفزع

(وصغر الهمة) وهو ضعف النفس عن طلب المراتب وقصور الامل

(والقساوة) وهي التهاون بما يلحق الغير من الآلام وهو مكروه الا فى الحروب

(والعجب) وهو للذى يرى أن الامور الحسنة التى لغيره موجودة فيه

(وشراسة الخلق) وصاحبها لا ينقاد الى جميل القول ولا يفارق القبيح

(والحسد) وهو التألم بما يراه الانسان لغيره من الخير وتمنى افساد حاله

(والقحة) وهى المجاهرة بالكلام الغليظ واستصغار الغير فى عينه

(واللهو) وهو الاقدام على ما لا ينبغي كما لا ينبغى فيما لا ينبغى

(والحقد) وهو اضمار الشر اذا لم يتمكن من الانتقام واخفاؤه للفرصة

(والطيش) وهو ضد الحلم وهو الذهول من أدنى ضد

﴿ ومن شر رذائلها الغضب ﴾

وهو أكبر الرذائل وله مواد وأسباب (فمنها الخوف) وهو ألم موجع للنفس لتوقع مكروه * وينقسم الى أقسام منها

(الزهو) ومداواته باستعمال التواضع

(والعجب) ومداواته بمعرفة عيوب النفس

(والفخر) ومداواته بالتيقن أنه من جنس غيره

(والمرح) ومداواته بالتشاغل بما يجب من الحقائق

(والهزل) ومداواته بالجد فى طلب الفضائل

(والهزء) ومداواته بالتكريم عن أذى الناس

(والتعيير) ومداواته بالقدرة على ترك الاقاويل القبيحة

(والملاحاة) ومداواتها بصيانة النفس عن مرّ الجواب

(والمضادة) ومداواتها بترك العناد

(والغدر) ومداواته باستعمال الوفاء

(والكسل) وهو جزع من أن يفعل فعلاً ما يراه ثقيلا عليه

(والخجل) وهو جزع من أن يعرف بشيء رديء لم يفعله

(والحياء) وهو جزع من ظهور شيء قبيح قد ارتكبه

(والفرق) وهو استهابة من شيء عظيم يضعف عن احتماله

(والحذر) وهو الجزع من السقوط فى أمر مترقب مشتبه

(والذعر) وهو الجزع من صورة ليست مألوفة

فضائل القوة الشهوانية

(العفة) وهى ضبط النفس عن الشهوات القبيحة واجتناب السرف

(والقناعة) وهى الرضا بما سهل وجوده دون ما غاب وترك الحرص

(وكتمان السر) وهو خلق محمود واذاعته من فضول الكلام

(والنزاهة) وهي التباعد عما يوقع التهمة فى ارتكاب الفواحش

(والسخاء) وهو بذل المال من غير مسألة ما لم ينته الى تبذيره والبذل ينقسم الى (الكرم) وهو انفاق المال بسهولة من النفس فى الامور الجليلة

(والايثار) وهو كف الانسان عن بعض حوائجه و بذلها لمستحقها
(والنبل)وهو سرور النفس بالافعال العظام الحسنة
(والسماحة) وهي ترك ما لا يجب تركه عند الضرورة
(والمسامحة) وهي ترك بعض ما يجب عند الحاجة الى ذلك
(والمواساة) وهي معاونة الاصدقاء والمستحقين • وتنقسم الى أقسام
(أحدها بالمال) كمواساة أهل الحاجة بماله والبر بهم ومراعاتهم
(والثاني بالبدن) وذلك كنصرة المرء صاحبه بالمضاربة دونه
(والثالث بالعلم) وذلك كتأديب الرجل صاحبه ومداواته بعلمه
(والرابع بالكلام) وذلك بمناضلة المرء عن صاحبه للخصومة عنه
(والحياء) وهو انحصار النفس خوف اتيان القبيح والحذر من اللوم
(والورع)وهو قهر الشهوة عند تغلب سورتها وتقصد فعل الجميل
(والصبر)وهو مقاومة النفس للهوى عند مغالبته
(والدعة) وهي سكون النفس عند حركة الشهوات الغالبة
(والدماثة) وهي حسن انقياد النفس ولينها
(والحرية)وهي الكسب من وجهه والميل به الى محاسن الامور
(وحسن السمت) وهو محبة النفس تكميلها بالزينة الحسنة
(والانتظام) وهو حال للنفس يقودها الى حسن تقدير الامور
(والصيانة) وهي التحفظ من قبيح الهزل قولا وفعلا والبعد من الدناءة
(والوقار)وهو سكون النفس وثباتها وتحفظها من الحركة الزائدة

﴿ وأما الرذائل الصادرة عنها فهى ﴾

(الفجور) وهو الانهماك فى الشهوات القبيحة وارتكاب الفواحش

(والشره) وهو الحرص على اكتساب الاموال والاستكثار من المطاعم والمشارب والمناكح

(والبخل) وهو منع المسترفد مع القدرة يحمد في النساء ويذم في الرجال

(والخيانة) وهي الاستبداد بما يؤتمن عليه الانسان وجحده ودائعه

(وافشاء السر) وهو مركب من الخرق والخيانة وهو خلق مذموم

(والمجون) وهو استعمال الاقوال القبيحة واستحسانها

(و بطلان الشهوة) وهو نقصان الشهوة عن الحد الواجب والمنع عن اللذات من غير ارادة ذلك

(والشماتة) وهي المسرة بمصائب الناس وهى من رداءة الطبع *

(والحرص) وهو الافراط في تطلب الاشياء الملائمة والمبالغة فى تحصيلها بالجدّ فى الفعل خاصة

﴿ ونحتاج ان نذكر طرفا من علم الاسباب لنستعين به على غرضنا مأخوذا من كلام أمير المؤمنين علي بن أبى طالب رضي الله عنه وكرم وجهه ونجعله مثالا ﴾

(سبب الحلم التواضع) (سبب الغنى القناعة)

(سبب النيل العفاف) (سبب العقل المداراة)

(سبب الأدب المواظبة)	(سبب الثناء السخاء)
(سبب الحظوة الصدق)	(سبب الجود الفضل)
(سبب قضاء الحوائج الرفق)	(سبب الرزق الطلب)
(سبب المزيد الشكر)	(سبب المحبة الهدية)
(سبب الاخوة البشاشة)	(سبب الغفلة الهوى)
(سبب الضعة الشح)	(سبب الفجور الخلوة)
(سبب القطيعة المعاتبة)	(سبب الفقر السرف)
(سبب المقت الخلف)	(سبب المذمة الكذب)
(سبب الذل السؤال)	(سبب الهوان الطمع)
(سبب الحرمان الكسل)	(والخير كله يجمعه الحياء والعقل)

ونقول ان الشيء الواحد بعينه من شأنه ان يفسد من الزيادة والنقصان * وقد ينبغي ان نستشهد على ما خفي وغاب عنا بالأشياء الظاهرة لنا * كما قد نرى في القوة وفي الصحة فان الرياضة الزائدة والناقصة تفسد القوة وكذلك الاطعمة والاشربة اذا زادت على ما ينبغي أو نقصت أفسدت الصحة * والمعتدلة تزيد فيها وتحفظها * والحال في العفة والشجاعة وسائر الفضائل الأخرى كذلك فان من هرب من كل شيء وخافه ولم يحتمل شيئاً صار جبانا ومن لم يخف شيأ لكن تلقي كل شيء صار مقداماً * وكذلك من تناول كل لذة صار شرها والذي يفر من كل لذة فلاحس له لأن العفة والشجاعة يفسدان من

الزيادة والنقصان ويحفظهما التوسط * واذكر لذلك مثالا يقاس عليه ويرجع في الباقي اليه اذ كان غرضنا الايجاز والاختصار *

﴿ وذلك المثال في توسط الفضائل بين الرذائل هو هذا ﴾

﴿ الحكمة ﴾ وسط بين البلادة والخبث أو الجهل والدهاء ﴿ والشجاعة ﴾ وسط بين الجبن والتهور أو الخوف والاقدام ﴿ والعفة ﴾ وسط بين ضعف الشهوة والنهم أو الكلال والشره ﴿ والسخاء ﴾ وسط بين التقتير والاسراف أو الامساك والتبذير

﴿ مثال آخر ﴾

(الحلم) وسط بين الشراسة والحقد
(الحرية) وسط بين الغبن والظلم
(الحياء) وسط بين القحة والمهانة
(الوقار) وسط بين الهزل والكبر

وقد يحدث من تركيب فضائل مع فضائل أخرى غيرها من الفضائل كما يحدث من تركيب الرذائل

﴿ ومثال الاول ﴾

أن يحدث عن تركيب العقل مع الشجاعة الصبر فى الملمات
وأن يحدث عن تركيب العقل مع السخاء انجاز المواعيد
وأن يحدث عن تركيب العقل مع العفة الصيانة والنزاهة
وأن يحدث عن تركيب الشجاعة مع السخاء الاتلاف والاملاق

وأن يحدث عن تركيب الشجاعة مع العفة الغيرة على الحرم وانكار الفواحش
وأن يحدث عن تركيب السخاء مع العفة الايثار على النفس

﴿ اختلف العلماء في الفرق بين السجايا والأخلاق ﴾

(فذهب قوم) الى أن السجايا ما لم تظهره الطباع والاخلاق ما أظهرته وسميت الاخلاق أخلاقا لانها تصير كالخلقة * والشيم كالسجايا والغرائز ما امتزج بالطبع والنحايز ما ظهر بالقوة *

(وذهب قوم) الى ان السجايا ما لم يتغير بطبع ولا تطبع والاخلاق ما يتغير بهما

(وزعم أكثر أهل الطب) ان السجايا والأخلاق تابعة لمزاج البدن فتكون مستقيمة بصحته ومتغيرة بفساده

(وذهب المتدينون) الى ان الله تعالى ركبها في النفوس بحسب ارادته وجعل اختلاف الأخلاق كاختلاف الصور التي ليست لها علة غير ارادته

﴿ واختلف الحكماء في فضائل الأخلاق هل تراد لذواتها أو للسعادة الحادثة عنها على نوعين ﴾

(فذهب بعضهم) الى ان المراد بالفضائل ذواتها لا لكونها المكسبة للسعادة

(وذهب آخرون) الى ان المراد بها السعادة الحادثة عنها لأنها الغاية المقصودة بها

﴿ واختلفوا في أخلاق الطبع والتطبع ما الافضل منهما ﴾

(فذهب قوم) الى تفضيل أخلاق الطبع الغريزى على أخلاق التطبع لقوة الغريزى وضعف المكتسب *

(وقال آخرون) بتفضيل أخلاق التطبع على أخلاق الطبع لأنها قاهرة لاضدادها *

(وقال آخرون) كل واحد منهما يحتاج الى الآخر ولا يستغنى عنه لان الأخلاق لا تنفك فهما بمنزلة الروح والجسد *

وفرّق أهل اللغة بينهما فقالوا الطبع هو الخيم والتطبع هو الخلق

(أما الدماغ) فهو مسكن الروح النفساني وفيه ثلاث خزائن

(الخزانة الأولى) فى مقدمه يشارك بها الحيوان وفيها قوة الحس (البصر والسمع والشم والذوق) وجوهر هذه الروح الساكن بتجويف هذه الخزانة مائل الى الرطوبة عن الاعتدال فان مال الى اليبس أبطأ احساس صاحبه

(الخزانة الثانية) هى في وسطه ينفرد بها الانسان وفيها قوة العقل (الفكر والتمييز والفهم والروية) وجوهر هذه الروح معتدل المزاج فان خرج عن الاعتدال كان صاحبه ردئ التمييز

(الخزانة الثالثة) هي في مؤخره يشارك بها الانسان الحيوان وفيها قوى (الحركة والحفظ والذكر) وجوهر هذه الروح مائل الى اليبس فان مال الى الرطوبة كان صاحبه بطيء الذكر والحفظ

فمن حكمة الله تعالى انه جعل قبول الصور في الروح التى في

مقدمه وجعل حفظ هذه الصور في الروح التي في التجويف المؤخر منه *
وجعل الفكر والتمييز في الروح التي في التجويف الاوسط * وجعل
الأول مائلا الى الرطوبة * والأوسط معتدلا * والمؤخر مائلا الى اليبوسة *
ليقبل المقدم من الحواس صور الاشياء بسهولة * ويحفظ المؤخر
ما يرد عليه فلا يغيب عنه ويميز الاوسط بين الاشياء باعتداله *
فقد بان بما ذكرنا علة اختلاف الناس في أخلاقهم وأفعالهم وحصل
لك الفرق بين هذه الأمور

بين صواب الرأى وخطائه — وبين جودة التخيل ورداءته
وبين كثرة النسيان وقلته — وبين سرعة الفهم وابطائه
وبين قوة التمييز وضعفه — وبين الذكاء والبلادة
وبين العقل والحمق *

(وأما القلب) فقد جعل الله فيه روحا تنفذ منه الى سائر العروق
الضوارب التي هي الشرايين فيكون الانسان بها حياً وببطلانها ميتاً
ويشارك بها الحيوان وبها يكون التنفس والنبض والحرارة الغريزية
وفيه أيضا تجويفان كما فى الدماغ بهما تكون أفعال النفس الحيوانية
وهما سبب حياة سائر الحيوان

﴿ أحدهما في الجانب الايمن ﴾ وفيه توجد السويداء وذلك
سبب لوجود الحرد والغيظ والجرأة ٠

﴿ والثانى في الجانب الايسر ﴾ وفيه من الروح أكثر من الجسد وذلك سبب لوجود الرضا والسكون والعجز

وأما الكبد

فقد جعل فيه قوة بها نفوذ الغذاء الى الاعضاء فى العروق غير الضوارب و يشترك فيه الحيوان * وفيه من القوى قوة الاغتذاء والنماء والتربية وبها تكون شهوة المطاعم والمشارب والمناكح وأشباهها

والسعادات على رأي الفلاسفة تنقسم الى هذه الاقسام

﴿ امّا افلاطون ﴾ ومن تقدمه فانه يرى أنها فى النفس خاصة دون البدن وتنقسم على مذهبه الى أربعة أقسام

الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة

وتنقسم الخيرات الى قسمين

﴿ الاول المحمود عند كل أحد ﴾ كالعدل والصدق والكرم فان ذلك محبوب محمود عند كل أحد

﴿ والثاني ما ليس بمؤثر عند كل أحد ﴾ كالشجاعة والغنى وما أشبههما فانه ليس محبوباً مختارا عند الجميع

﴿ وامّا ارسطاليس ﴾ ومن أتى بعده فقد شارك فيها بين النفس والبدن وقسمها الى خمسة أقسام

﴿ أحدها فى لطف الحس وصحة البدن ﴾ وذلك يكون بسلامة

الاعضاء والاعتدال الى المزاج كما ينظر حسنا و يسمع جيدا وكذلك باقي الحواس والله أعلم

﴿ الثاني في جودة الفكر والرأى ﴾ وذلك يكون بتعلم العلوم وحسن الادب وكثرة التجارب والله أعلم

﴿ الثالث فى نجح الامور ﴾ وذلك يكون اذا استتم الانسان كل ما روى فيه وعزم على فعله

﴿ الرابع فى المحمدة والحمد ﴾ وذلك اذا أحسن الناس الثناءعلى بعضهم بذكر الآثار الحسنة والشيم الزكية

﴿ الخامس في الثروة والغنى ﴾ وذلك ان اجتمع للمرء من معاشه ما يمكنه به مواساة أصدقائه والمستحقين ووضعه مواضعه ومن تهيأ له ذلك كله فهو كامل السعادة

﴿ والخيرات أيضا على مذهبه على ثلاثة أنواع ﴾

﴿ أحدها فى النفس ﴾ كجودة الفضائل المذكورة فيها وحسن عملها واعتدالها

﴿ الثاني فى البدن ﴾ كحسن البدن وصحة أعضائه وسلامته من الآفات والعوارض

﴿ الثالث خارج عنهما ﴾ كالمال والسلطان والاصدقاء وسائر المقتنيات مما قوامه من خارج

﴿ والفضائل تنقسم قسمين ﴾

(أحدهما) ما أوجب ثناء المخلوقين وهو ما عاد نفعه عليهم

(الثاني) ما اقتضى ثواب الخالق وهو ما قصد به وجه الله تعالى

ونقول ان الاخلاق غرائز كامنة تظهر بالاختيار وتقهر بالاضطرار وللنفس أخلاق تحدث عنها بالطبع ولها أفعال تصدر عنها بالارادة فهما ضربان * اخلاق الذات وأفعال الارادة . والانسان مطبوع على أخلاق قلما حمد جميعها أو ذم سائرها * وانما الغالب أن بعضها محمود و بعضها مذموم فتعذر لهذا التعليل أن تستكمل فضائل الأخلاق طبعاً وغريزة ولزم لأجله ان يتخللها رذائل الاخلاق طبعاً وغريزة فصارت غير منفكه فى جبلة الطبع وغريزة الفطرة عن فضائل محمودة ورذائل مذمومة * واذا استقر ذلك فالسعيد من غلبت فضائله على رذائله فقدر بوفور الفضائل على قهر الرذائل وسلم من شين النقص وسعد بفضيلة الفضل * فالانسان يستحق الحمد على الفضائل المكتسبة لأنها مستفادة بفعله ولا يستحق على الفضائل المطبوعة وان حمدت فيه لوجودها بغير فعله * ومن القبيح ان يتحرز المرء من أغذية البدن كي لا تكون ضارة ولا يعنى بتهذيب أخلاق نفسه ومدواتها بالعلم الذى هو غذاؤها كي لا يكون باطلا وضاراً واذا كنا نعنى بجميع أعضاء البدن وخاصة بالأشرف منها فبالحرى ان نعني باجزاء النفس وخاصة بالأشرف منها وهو العقل * وكما أن الأمراض التى تعرض للبدن ان لم يعلم

الطبيب الأسباب الفاعلة لها لم يتمكن من علاجها فكذلك علل النفس ينبغي ان نعنى بقلع أسبابها * فمتى أحس الانسان بانه قد أخطأ وأراد ان لا يعود ثانياً فلينظر أي أصل في نفسه حدث ذلك عنه فنحتال في ازالته * و بعد فلو لم يكن الى تغير الاخلاق سبيل لما كان للأقاويل التي أودعتها الحكماء كتبها في استصلاح الأخلاق معنى اذ لم يرج لها نفع ولا جدوى *وكذلك لم يكن للمواعظ التى يقصد بها ذووا الأخلاق الذميمة من الأشرار معنى اذا لم نطمع في انتقالهم عما هم عليه من الشر واذ قد انتهينا الى ما أردنا بيانه فانتم الكلام فيه ههنا بعون الله تعالى ولطفه والحمد لله وحده

(والسبيل الى اعتقاد الانسان الأخلاق المحمودة واستعمالها واجتناب المذمومة واهمالها ثلاثة أمور)

(الأول) بتمييز القوة الناطقة بأحوال ثلاثة

بمداومة الاطلاع على كتب الأخلاق والسياسات والعمل بها

و بالتدرج الى استعمال العادات الجميلة وترك ضدها

و بتدقيق النظر في العلوم العقلية والبحث عنها

(الثانى) بقهر القوة الشهوانية بأحوال ثلاثة

بأن يجتنب مجالسة السفهاء والخلعاء والنساء والأراذل

و بأن يكثر مجالسة الزهاد وذوى الاجتهاد والورع *

و بأن يتذكر أوقات شهوته فيعدل الى الجميل منها

(الثالث) بتعديل القوة الغضبية بأحوال ثلاثة

بأن يذكر من يؤذيه ان لو كان هو المؤذى هل كان يختار ذلك أو ينفر منه

و بأن يتذكر ماشهده من طيش غيره فلا يرضاه لنفسه عند الغضب

و بأن يكسر سورة الغضب بالرفق و يستعمله على تعديل القوة الشهوانية فقط

﴿وقيل ان الاحوال التي تلحق الانسان على خمسة وعشرين وجها﴾

﴿ خمسة بالبخت ﴾ الولد والتزويج والملك والمال والجاه

﴿ وخمسة بالعمل ﴾ الثواب والاثم والفلاحة والفروسية والعلم

﴿ وخمسة بالعادة ﴾ النوم والمشى والجماع والشرب والأكل

﴿ وخمسة بالجوهر ﴾ محبة الناس والحرية والتواضع والصدق والسخاء

﴿ وخمسة بالسجية ﴾ الشجاعة والتروى والحزم والذكاء والفطنه

واعلم ان الله تعالى خلق بدن الانسان بحكمة واتقان اذ كان تبارك وتعالى تام الحكمة كامل القدرة * وكان من الحكمة والاتقان ان لا تكون افعال الانسان كلها بعضو واحد من أعضاء بدنه بل باعضاء معدودة لئلا ينال ذلك العضو آفة فتبطل أفعال جميع البدن ببطلانه * لكنه خلق بدن الانسان وركبه من أعضاء كثيرة وجعل لكل منها قوة تخصه وجعل الافعال الجليلة والقوى العظيمة التى هي الاصول والينابيع في ثلاثة أعضاء

الدماغ

ولا يخلو بجملته أن يكون معتدل المزاج فتحصل له الحكمة فان استعملها فهو المؤيد بالتوفيق أو خارجاً اما الى الحرارة فتميل أفعاله الى الطيش والتهوّر * أو البرودة فتميل أفعاله الى الثقل والابطاء

والقلب

ولا يخلو بجملته أن يكون معتدل المزاج فتحصل له الشجاعة المعتدلة ولا يجرأ في غير موضعه * أو خارجا اما الى الحرارة فتحدث الجراءة والقحة والغضب له * أو البرودة فتحدث مهانة النفس والكسل له

والكبد

ولا يخلو بجملته أن يكون معتدل المزاج فيحصل له فضل العفة والقناعة والقصد في الامور * أو خارجا اما الى الحرارة فيحدث له الشره والنهم والمبالغة فيهما * أو البرودة فيحدث له الكلال وضعف الشهوة

الفصل الثاني

﴿ في أصناف السيرة العقلية الواجب على الانسان اتباعها والعمل بها ﴾

اللهم صل التوفيق بقولنا * والتصديق بعملنا * والتحقيق بقلوبنا * ولا تكلنا الى حولنا وقوتنا * ولا تحل بيننا وبين ما يقربنا منك * ويدنينا من بابك * ويجيرنا من عذابك * ياذا الجلال والاكرام *

﴿ ذكر بعض العلماء أن المخلوقات بأسرها على أربعة أقسام ﴾

(القسم الاول) الذي له عقل وحكمة وليس له طبيعة ولا شهوة وهم الملائكة

(القسم الثانى) الذي له طبيعة وشهوة وليس له عقل ولا حكمة وهم الحيوان غير الانسان

(القسم الثالث) الذى ليس له عقل ولا حكمة ولا طبيعة ولا شهوة وهو الجماد والنبات

ولما دخلت هذه الاقسام الثلاثة فى الوجود لم يبق من الممكنات الا القسم الرابع وهو الذى يكون له عقل وحكمة وطبيعة وشهوة وذلك هو الانسان * ولما ثبت فى المعارف الحكمية أنه تعالى عام الفيض على الممكنات اقتضى عموم جوده ادخال هذا القسم في الوجود * فلهذا قال (اني جاعل في الارض خليفة) لئلا يبقى شيء من الممكنات محروماً من تأثير ايجاده * فأول نعمة أنعمها الله على الاعجم والفصيح حياة الروح لان بالحياة يذوق اللذات وينال الشهوات وهي نعمة عامة علي جميع الحيوان ليست خاصة للانسان لكن النعمة التى هو بها مخصوص العقل وبه حصل له النبل وبقوته ملك الحيوان وقهر * وساس الاشياء ودبر * والاخص منه العلم وهو نتيجة العقل وبه التفاضل بمقدار النقص والفضل وبحسب الطلب والحث وبقدر الفحص والبحث وغاية ماخلق له وطلب منه العمل وهو الذي أجرى اليه وأثيب

عليه وهو قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) والعقل هبةالماجد الوهاب * والعلم والعمل درج العبد بالاكتساب * ولذلك يستحق بطلبهما جزيل الثواب * و بتركهما أليم العقاب * ولا حياة بالحقيقة لمن لا روح له * ولا عقل لمن لا حياة له * ولا علم لمن لاعقل له * ولا عمل لمن لاعلم له * ولا ثواب لمن لا عمل له * ومن لا يظفر من هذه النعم الا بروح الحياة فقد سقطت عنه الكلفة * ومن أعطي فقد وجبت عليه الحكمة * ومن أوتي الحكمة فقد أجزلت له العطية * ومن عمل بعلمه فقد تمت عليه النعمة * وأجتمعت له الدنيا والاخرى *وقد سبق القول أن الذي خلق له الانسان وأريد منه العلم والعمل

﴿ أما العلم فينقسم الى ثلاثة أقسام ﴾

(العلم الاعلى) وهو علم الالهيات ويأتى ذكره *وصاحبه ينظر فى الامور التى وجودها فى العقل

(والعلم الاوسط) وهوعلم الرياضيات ويأتى ذكره * وصاحبه ينظر فى الامور التي وجودها في الذهن (١)

﴿ والعلم الاسفل ﴾ وهو علم الطبيعيات ويأتى ذكره وصاحبه ينظر في الامور التى وجودها في الحس

---

(١) قوله في الذهن يريد بالذهن قوة التخيل والوهم

﴿ وأما العمل فهو على ثلاثة أنحاء ﴾

﴿ سياسة الانسان نفسه وبدنه ﴾ وهى سيرته فى نفسه بالأعمال الصالحة والافعال الحسنة وتنقسم الى قسمين (١)

﴿ وسياسة المنزل ﴾ وهى سيرته مع أهله وماله وولده وعبده وما لاغنيان له عنه وينقسم الى أقسام (٢)

﴿ وسياسته أهل نوعه ﴾ وهي سيرته التى لا يستغنى عنها (٣) مادام حيا وتنقسم الي أقسام (٤)

﴿ أما العلم الأعلى فأربابه المصطفون وينقسم الى قسمين ﴾

العلم بالكتاب والعلم بالسنة * اما العلم بالكتاب فينقسم قسمين اختلاف القرآت وأحوالها * وعلم المعاني والاحكام * وينقسم الى قسمين

﴿ علم التأويل — وعلم التفسير ﴾

أما علم التأويل فينقسم الى النظر في فروع الدين والى النظر في الاختلاف فيها * وأربابه هم الفقهاء وهم على نوعين أصحاب نص

---

(١) قوله الى قسمين لعلهما سياسة النفس وسياسة البدن

(٢) قوله الى اقسام لعلها الاقسام التي بحسب عدد المشاركين في المنزل

(٣) قوله التي لايستغنى عنها الخ يريد بها سيرته مع الذين يتعاونون معه على اسباب الحياة

(٤) قوله الى افسام لعلها الافسام الثلاثة اعنى سيرته مع الاعلى منه ومع المساوى ومع الادنى

وأصحاب قياس ﴿ وأما علم التفسير ﴾ فينقسم الى قصص الكتاب وأسباب نزوله * وأربابه هم المتكلمون وهو على انحاء معرفة الاسماء والاحكام وتصحيح النبوة * واثبات التوحيد

﴿ وأما العلم بالسنة ﴾ فقد اختص به المحدثون وينقسم الى معرفة تواريخ المشايخ ومواليدهم * ومعرفة المرفوع من الحديث والموقوف * ومعرفة مشاهير الحديث الدائرة عليها أحكام الشريعة

﴿ والعلم الالهى عند الفلاسفة ينقسم الى أربعة أقسام ﴾

﴿ القسم الأول ﴾

فى خروج كل خارج من القوة الى الفعل (١) وسبب القوة والفعل معاً

﴿ والقسم الثاني ﴾

فى البحث عن مبادئ البراهين المستعملة فى جميع العلوم النظرية

﴿ والقسم الثالث ﴾

في الفحص عن الموجودات التي ليست بأجسام ولا في أجسام ولا تعلق لها بالمواد

---

(١) قوله في خروج كل الخ ليس لهذا الكلام معنى محصل والمعروف عند العموم أن القسم الاول من الحكمة الالهية في البحث عن الامور العامة التي تعم المجردات وغيرها وهى المسماة بتقاسيم الوجود ولعل هذا هو مراده

﴿ والقسم الرابع ﴾

في الفحص عن الشيء المتقدم على هذه الموجودات كلها *

﴿ و بيان فضيلة هذا العلم من وجوه ثلاثة ﴾

﴿ الوجه الأول ﴾

أنه علم يبحث عن العلة وما سواه يبحث عن المعلولات ولا شك ان علم العلة أشرف

﴿ والوجه الثاني ﴾

انه علم يبحث عن معنى هو النهاية وهو ربوبية الخالق تبارك وتعالى لانها نهاية أوصاف الواصفين

﴿ والوجه الثالث ﴾

انه علم يبحث عنه بقوة العقل مجردة ولا يستعان فيه بشيء من القوى الحسية

﴿ ويتصل بالعلم الأعلى علوم عدة اختلف الناس فيها فمنها ﴾

علم الكهانة وعلم الطاسمات وأحكام النجوم وعبارة الرؤيا والفراسة وعلم القيافة والرقى والسحر وعلم العزائم وعلم الفال والزجر

﴿ وأما العلم الاوسط ﴾ فهو علم الرياضات وليقدم عليه تقويم اللسان اذ كان أول مشتغل به ومفتقر اليه وهو داخل في هذا القسم فنقول علم اللسان ينقسم الى مفرد كاللغة والنحو * ومركب كالمنثور والمنظوم (فالمنثور) كالخطب وعلم الاخبار والرسائل (والمنظوم) كالرجز والقصيد

(وعلم الاخبار) ينقسم الى أخبار الانبياء والاولياء صلوات الله عليهم وسلامه * وأخبار الملوك وسياساتهم وذكر الدول والحوادث * وأخبار الفضلاء والحكماء والكرماء من سائر الناس وأضدادهم

﴿ وينقسم أيضا الى هذه القسمة ﴾

(الاول الامر والنهى والتحريض) كما يأمر بفعل أمر أو يحرض على لقاء عسكر أو ينهى عن منكر
(والثانى الشكاية) كما يشكو الرجل صاحبه أو زمانه ويذم أفعاله
(والثالث الاعتذار) كما يعتذر المرء عن فعله ويدلى بحجته فيما أتى أو قيل عنه
(والرابع المديح) كمدح المرء صاحبه بأنه خير أو مدحه كبيراً رجاء منفعته
(والخامس الهجاء) كذم المرء صاحبه أو من أساء اليه بذكر مذموم طرائقه
(وينقسم أيضا الى) علم الالفاظ المفردة وقوانينها * وعلم الالفاظ المركبة وقوانينها * وعلم قوانين تصحيح الكتابة * وعلم قوانين تصحيح القراءة * وعلم قوانين الاشعار

(وعلم الالفاظ المركبة ينقسم الى) كلام الولاة وهو الذى يستعمله ولاة المدن في محافلهم ويقصدون به التفخيم * وكلام البلغاء وهو الذى يستعمله الفصحاء فى اظهار بلاغتهم * وكلام السوقة وهو الكلام

المرذول المستعمل بين العوام * وكلام الجدل وهو الذى يباحث به أهل الجدل بعضهم بعضا بقصـــد الايجاز * وكلام الصناع وهو اصطلاح أرباب الصناعات في صناعاتهم

﴿ وصواب البلاغة والمنطق ينقسم الى أقسام ﴾

(الاول) أن ينطق بما ينبغي وذلك أن يتكلم بماينتفع به السامع والقائل لاغير

(الثاني) أن ينطق بقدر ماينبغي وذلك بقدر الحاجـة فان زاد كان هذراً وان نقص كان حصراً

(الثالث) أن ينطق كما ينبغى وذلك أن يخاطب كل طبقة بما يليق بهم

(الرابع) أن ينطق متى ينبغى وذلك أن يكون كلامه عنـــد الحاجة اليه فقط

(وصناعة المنطق تابعة لما قدمنا وتنقسم الى خمسة أقسام)

لان المستعمل فيها اما أن يؤدي الى الحق المحض والصدق فى سائر أحواله و يسمى برهانا وهو صناعة اليقين

واما أن يؤدى في أكثر أحواله الى الصدق وقد يكذب يسيرا ويسمى جدلا وهو صناعة الظنون

واما أن يؤدى بالسواء الى الحق مرة والى الباطـل أخـرى ويسمى خطابة وهو صناعة الاقناع

وأما ان يؤدى فى أكثر أحواله الى الكذب وقد يصدق يسيراً ويسمى سوفسطائياً وهو صناعة المغالطة

واما ان يؤدى الى الباطل المحض و يسمى شعريا وهو صناعة التخييل

والرياضيات على رأى تنقسم الى أربعة أقسام

الأول علم العدد

فمنه نظرىّ وهو الذى ينظر في الأعداد المجردة عن الاجسام بالاطلاق * ومنه عملىّ كالذى ينظرفى الاعداد من حيث هى معدودات كالدراهم

والثاني علم الهندسة

فمنه نظرىّ كالنظر فى الخطوط وغيرها ممالا تعلق لها بمادة ولا جسم * ومنه عملىّ كعمل الخطوط والسطوح اذا كانت في مادة كالحديد والخشب

والثالث علم الهيئة

فمنه نظرىّ كالنظر في الأجرام العلوية والنظر في حركات الأجرام ودورانها والنظر في الارض وكونها ساكنة بجملتها * ومنه عمليّ وهو الذي يؤدي الى الاحكام واتخاذ آلات الرصد

والرابع علم الموسيقى

فمنه نظرىّ كالنظر فى مبادى هذا العلم واستخراج النغم وأصنافه واتخاذ ما حصل بالبراهين في الآلات والنظر فى أنواع الايقاعات

وتأليف الالحان علي طريق الاجمال * ومنه عمليّ وهو الذى يصنع الالحان ويضعها على الآلات

﴿ وصناعة الهندسة تنقسم الى خمسة أقسام ﴾

﴿ القسم الاول ﴾ في الخطوط والسطوح ولواحقها

﴿ القسم الثاني ﴾ فى الجسمات من المكعب والمدور وأنواعها

﴿ القسم الثالث ﴾ في المناظر من الامتداد والانعكاس

﴿القسم الرابع ﴾ فى مراكز الأثقال واستخراج كميات الاجرام

﴿ القسم الخامس ﴾ فى الحيل وعمل الآلات النجومية والاوانى

﴿ وصناعة الموسيقى تنقسم الى ثلاثة أقسام ﴾

﴿ القسم الأول ﴾

ما يستعمل الفم وحده بمنزلة الاصوات وتركيبها في الحنجرة

﴿ القسم الثانى ﴾

ما يستعمل الفم واليدين جميعاً بمنزلة الايقاع والضرب بالعود وأمثاله والآلات على نوعين (صناعية) كالعيدان والمزامير (وطبيعية) كالحنجرة واللهات

﴿ القسم الثالث ﴾

ما يستعمل اليدين خاصة بمنزلة ضرب الدف والطبل واشباههما

﴿ وأما العلم الاسفل ﴾

فهو علم الطبيعيات وصاحبه هو الذي ينظر فى طبائع الموجودات

وكيفية العناصر وتركيباتها وأفعالها فى النبات والمعدن والحيوان وتنقسم الى أقسام

﴿ الاول ﴾

معرفة العناصر التي هى أركان العالم وكيفية امتزاجها وتركيبها

﴿ والثاني ﴾

معرفة القوى المدبرة لابدان الحيوان وهى أربعة جاذبة وممسكة ومغذية ودافعة

﴿ والثالث ﴾

معرفة عللها وأعراضها وأمراضها ودلائلها علي كل مرض وسائر أسبابها

﴿ والرابع ﴾

معرفة الأدوية المفردة والمركبة واستعمالها في استجلاب الصحة المفقودة وحفظ الموجودة وهى صناعة الطبيب * وتنقسم الى أقسام

﴿ أحدها بالعقاقير ﴾ كالذى يداوى باستعمال الادوية المفردة والمركبة

﴿ ثانيها بالحديد ﴾ كالذي يداوى بالقشط والقطع والكي وأشباه ذلك

﴿ ثالثها بالأغذية ﴾ وهو الذى يسوس المريض بالاطعمة والاشربة

﴿ رابعها بالدلالات ﴾ كالذى يكون خبيراً بالدلالة على الدواء والامراض

﴿ خامسها بالمعونة ﴾ كالذى يخلص من الأوجاع بالمعونة من خارج

﴿ واعلم ﴾ ان كل انسان اذا رجع الى نفسه وتأمل أحوالها بعين بصيرته وأحوال غيره من الناس وجد نفسه في رتبة يشركه

فيها طائفة منهم * ووجـد فوق رتبته طائفة هم أعلى بجهة أو جهات * ووجد دونهـا طائفة هم أوضـع منه بجهة أوجهات لأن العظيم منهم وان وجد نفسه فى محل لا يرى لأحد من الناس في زمانه منزلة أعلى من منزلته فانه اذا تأمل حاله وجـد فى الناس من يفضله بنوع من الفضيلة * وكذلك الوضيع الخامل يجـد من هو أوضع منه بنوع من الضعة اذ ليس فى أجزاء العالم ماهو كامل من جميع الجهات * فانتفاع المرء بالسـيرة الصالحة بين هؤلاء الطبقات الثـلاث اما مع العظماء فليقرب من مرتبتهم واما مع الاكفاء فليفضـل عليهم واما مع الأوضعين قليلا فلينحط الى رتبتهم

ونقول ان أنفع الاشياء التى يسلكها الانسـان فيما تقدم هو ان يتأمل أحوال الناس وأعمالهم وتصرفاتهم مما يشاهد ويسمع ويقسم النظر فيها ويميز بين محاسنها ومساويها و بين النافع لهم والضار منها ويجتهد حينئذ في التمسك بمحاسنها ليناله من منافعها مانالهم * وفى التحرز من مساويها ليأمن مضارها و يسلم مثل ما سلموا * وليعلم ان المقصود من العبادات والطاعات والتخلق بجميل الأخلاق انقطاع النفس عن عالم المحسوسات واقبالها على عالم الروحانيات حتى ان الانسان عند الموت يفارق من المنافي الى الملائم * ومن قصد باستعمال الطاعات والعبادات غير ذلك فقد أحكم العلاقة مع عالم المحسوسات و بالغ فى الفرار من عالم الروحانيات فعند المفارقة ينتقل من المـلائم الى المنافي نعوذ بالله من ذلك ونسأله

ان ينظمنا على ابتغاء رضوانه ويلم شعثنا بضروب احسـانه * ويختم أعمالنا برحمته وغفرانه * ويسهل علينا طلاب ما أعـده لأوليائه انه على كل شئ قدير *

قد ذكرنا فى أول هذا الفصل أن العمل المطلوب من الانسان ينقسم الى ثلاثة أقسام و بيناها هناك وسنفرد الآن كل قسم ونتكلم عليه * و بالله سبحانه وتعالى المستعان * وعليه التكلان * ولا حول ولا قوة الا به

﴿ القسم الاول فى سيرة الانسان في نفسه ﴾

وذلك باستعمال ما قدمنا ذكره من اصلاح أخلاقها وتجويد أفعالها واجتهادها في بلوغ الكمال *

﴿ وفى بدنه ﴾ وذلك بصناعة الطب وتنقسم الى حفظ صحة موجودة وارتجاع صحة مفقودة وذلك أن الانسان مضطر الى هذه الاحوال مدة حياته وهي

(الهواء) لـكونه خلفا لما يتحلل من روحه ومعدلا لحرارته الغريزية

(والطعام والشراب) ليصـير خلفا لـما يتحلل من جسمة ويحفظ رطوباته

(والحركة والسكون) ليتصرف فى ضروراته ويستريح وقت حاجته

(والنوم واليقظة) لاستراحة القوى النفسانية وتتميم الافعال الطبيعية

(والاستفراغ) لاخراج ما لا حاجة اليه من فضول البدن
(والجماع) ليبقى النوع اذ لا سبيل الى بقاء الشخص

﴿ وصحة بدنه تحفظ بتعديل هذه الامور ﴾

(الكمية) بان يعدل مقدارها بحسب الحاجة بغير زيادة ولا نقصان
(والكيفية) بان يختار منها ما هو أوفق وأصلح
(والزمان) ليستعمل كل حاجة في وقتها وأوانها
(والترتيب) ليقدم ما يجب تقديمه ويؤخر ما يجب تأخيره
(وتدارك الخطأ) من قبل أن يحدث ضرر أو مرض

﴿ القسم الثاني فى سيرة الانسان ﴾

(فى المال الذي) به يمكن الانسان التوصل الى مآربه
(والزوجة التي) هي ربة المنزل وشريكة الرجل فيه
(والولد) وهم الخلف والذرية وهم قوام الانس
(والعبد) وهم خدم المنزل والقوام به
(والتدبير) وهو اجراء أموره على الصواب

(أما المال) فانه لما كان الانسان منتقصا دائم التحلل احتاج الى أن يستمد من الغذاء مكان ما يتحلل منه بالحركة * ولما افتقر الى الاغذية وجد أعدلها وأرفقها له الحيوان والنبات وكلاهما يحتاج الى مراعاة (أما الحيوان) فيحتاج الى أن يحفظ و يغذى ويكن من الحر والبرد

(وأما النبـات) فيحتاج أن يزرع ويغرس ويسقى ويربى الى غير ذلك * وأحتاج أيضا لجمع الغذاء واتخاذه الى صناعات أخر كثيرة وذلك هو السبب فى اتخاذ المدن والممالك * وسنذكره اذا انتهينا اليه فى الفصل الثالث من الـكتاب فان النجار يحتاج الى الحداد والحداد يضطر الى صـناعة أصحاب المعادن وتلك الصناعة تحتاج الى البناء * وكل واحدة من هذه الصناعات وان كانت تامة فى نفسها فانها تحتاج الى الاخرى كما يحتاج بعض أجزاء السلسلة الى بعض فوقع الاضطرار الي التعاون والتعاضد والتساعد ولم تكن حاجة كل واحد منهم فى وقت حاجة صاحبه في أكثر الاوقات ليعنوا بالمعاوضة والمقايضة ولم تعلم قيم الاشياء وأجرة الصناعات فاحتيج حينئذ الى شيء يثمن به جميع الاشياء وتعرف قيمها فمتى احتاج الانسان الى شيء ما دفع ثمنه أو وزن أجرته من هذا الجوهر النفيس * فقد بان بما ذكرناه أن من صار في يده شيء من هذا الجوهر الذى سميناه فكأن الانواع التى يحتاج اليها كلها قد حصلت فى يده

﴿ ويحتاج المال الى أمور ثلاثة ﴾

﴿ اكتسابه ﴾

ويجتنب في الاكتساب هذه النقائص

(الجور) كالبخس في الوزن * والتطفيف في الـكيل * والجحود للحق * والمغالطة فى الحساب

(والعار) كمثل الشتم والصفع والاهانة واحتمال أشباه ذلك طلبا للكسب

(والدناءة) بان يترك صناعة آبائه من غير عجز أو ينتقل عن تلك الصناعة الى أدون منها

﴿ وحفظه ﴾

ويحتاج في الحفظ الى هذه الاحوال

(أحدها) أن لا يكون ما ينفق أكثر مما يكتسب

(ثانيها) أن لا يكون ما ينفق مساويا لكسبه

(ثالثها) أن لا يمد يده الى ما يعجز عن القيام به

(رابعها) أن لا يستعمل ماله في شيء يبطيء خروجه عنه

﴿ وانفاقه ﴾

وينبغي أن يحذر فى الانفاق هذه الامور

(اللؤم) وهو الامساك عن الانفاق في أبواب الجميل * ويؤتى صاحبه من قبل أنه لا يعرف طرق الجميل

(والتقتير)وهو التضييق فيما لا بد منه مثل أقوات العيال لا مال يحفظ صاحبه ولا بلذة يتمتع * ويؤتى صاحبه من قبل أنه لا يعرف الواجب

(والسرف) وهو الانهماك فى الشهوات واللذات

(والذح) وهو أن يتعدى المرء ما يتخذه أهل طبقته مباهاة

(وسوء التدبير) وهو أن ينفق في غيرضرورة ويهمل الاهم من أموره * ويؤتي من قبل أنه لا يعرف مقادير النفقة

﴿ والذى يجب على الانسان فى ماله ﴾

أن يعرف أبواب الجميل ويرغب فيها ويبتغيها

وأن يعرف الحق اللازم ويوجبه على نفسه

وأن لايقصد الانفاق على شهواته ولذاته

وأن لا يتعدى مايفعله أهل طبقته

وأن يعرف استحقاق كل حال مما يحتاج اليه

وأن يكون انفاقه كرما لا تبزيرا واسرافاً * فاذا فعل ذلك نسب الى كل خلق محمود

﴿ والزوجة تراد لشيئين ﴾

﴿ أحدهما من طريق الرأي ﴾ وذلك ان أكثر اشتغال الرجل خارج منزله فهو مضطر الى الخروج عنه ولا بدله اذ هو كذلك ممن يحفظه له ويدبر له مافيه وليس يمكن ان يبلغ أحد من العناية بشيء غيره ما يبلغه بشيء نفسه * فلما كان الامر كذلك كان أصلح الاشياء للرجل ان يكون في منزله شريك يملكه كملكه حتى يعني كعنايته ويكون تدبيره كتدبيره * فهذا هو الباب الذى دعي الرأى اليه ودل عليه الاختبار

﴿ والغرض من ذلك أمران ﴾

﴿ أحدهما النفس ﴾ وهو صحة العقل وجودته والعمل به

﴿والآخر البدن﴾ وهو صحة البدن والبنية وكمال الاعضاء وبعض الحس ومتى خلت من هذين فليس مع سقم البدن وفساد العقل نجابة أصلا

﴿ الثانى من طريق الطبع ﴾

وهو ان الخالق تعالى لما جعل النــاس يموتون وقدر بقاء الدنيا الى وقت مّا جعلهم يتناسلون * وجعل التناسل من شيء يجتمع فيــه الحرارة والرطوبة * فأما الحرارة فلان النشو والنمــاء والحركة لا تكون الا بها

﴿ وأما الرطوبة ﴾ فلان الانطباع والتصوير على اختلاف مقاديره وأشكاله لا يكون الا فيها وليس للرطوبة مع الحرارة ثبات ولا بقاء لأن الحرارة تحللها وتفنيها * فلما كان لا يوجد من كل واحد منهما في بدن واحــد مقدار القوة التي يكون منها الولد فرقهما فى ذكر وأنثى * لان الحرارة فى الذكر أكثر والرطوبة في الانثى أكثر * فاذا القى الذكر فى الانثى من الحرارة ماقدر البارى عز وجل ان يكون من مثله الولد استمدت تلك الحرارة من رطوبة الانثى ما يكون منه تمام الخلقة بقدرة الله تعالى وتقدس *

﴿ وليس ينبغي ان يكون قصد الرجل من المرأة حسباً ﴾

لكونه يدعو صاحبه الي الاتكال عليه ويترك كثيراً مما يزينه ﴿ ولا مالا ﴾ لكونه ينظر الرجل ويفسد حاله هذا مع فضيلة الرجل فما ظنك بالمرأة ونقصانها *

﴿ولا جمالا﴾ لكثرة من يرمقه ببصره فيكون سبباً لفساد صاحبه * فانه متى قصد واحداً من هذه وكان موجوداً عند المرأة رأت أنه قد ظفر ببغيته منها ولم يبق عليها شيء تتقرب به اليه فقصرت في تدبير منزله الذي أرادها له وفسد حاله

﴿ وينبغي ان يستعمل صاحب المرأة هذه الاحوال الستة ﴾

﴿الأولى﴾ ان يبدأ فيفهمها انه لم يردها للولد دون العناية بمنزله وتدبيره

﴿ الثانية ﴾ ان يأمرها بحفظ منزله في حضوره وغيبته وصحته ومرضه وسائر أحواله

﴿الثالثة﴾ ان لا يمكنها من رأس ماله ولا يظهر لها ولوعاً وعشقاً مفرطاً

﴿ الرابعة ﴾ ان يكتم أسراره عنها ولا يطمعها فى مطاوعته اياها ولا يستشيرها *

﴿ الخامسة ﴾ ان يقتصر على الواحدة ما أمكن فهو أدعي للنظام

﴿ السادسة ﴾ اذا ابتلى بصاحبة ردية فليحتل في الخلاص منها أسرع ما يقدر عليه

﴿ وأما الولد ﴾ فينبغي ان يؤخذ بالأدب من صغره فان الصغير أسلس قياداً وأسرع مواتاة ولم تغلب عليه عادة تمنعه من أتباع مايراد منه ولا له عزيمة تصرفه عما يؤمر به فهو اذا اعتاد الشيء ونشأ عليه خيراً كان أوشراً لم يكد ينتقل عنه فان عود من صباه المذاهب الجميلة والأفعال المحمودة بقي عليها ويزيد فيها اذا فهمها * وان أهمل حتى

يعتاد بما تميل اليه طبيعته مما أجبل عليها أو عود أشياء ردية مما ليس في طبيعته ثم أخـذ بالأدب بعد غلبة تلك الامور عليه عسر انتقاله مع الذى يؤدبه ولم يكد يفارق ماجرى عليه فان أكثر الناس انما يؤتون في سوء مذاهبهم من عادات الصبا *

﴿ واعلم ﴾ ان أصلح الصبيان من كان منهم على الحياء وحب الكرامة ومن كانت له أنفة فاذا كان كذلك كان تأديبه سهلا * ومن كان من الصبيان بالضد عسر تأديبه * ثم لا بد لمن كان كذلك من تخويف عند الاساءة ثم تحقيق ذلك بالضرب اذا لم ينفع التخويف ثم الاحسان اذا أحسن *

﴿ فما يجب ان ينشأ عليه حسن التأديب ﴾

﴿ جسمانياً ﴾ بالفروسية ومشاهدة المعارك والأكل والشرب والنوم واليقظة وسائر الحركات والتصرفات

﴿ ونفسانياً ﴾ بالنظر في أمور الشريعـة وتعليم العلوم والآداب وامداد الرأى بمشورة العلماء وتصفح الكتب والسير

﴿ وحسن التشبيه ﴾ بتلقين كلام حسن لا فاحش فيه وان يمنع من عور الـكلام ولا يمزح ولا يذم

﴿ وحسن التربيـة ﴾ باختيار مذهب جميـل وعادات مرضية وتغذيته بلبن لا آفة فيه وتحفيظه بقانون الصحة

﴿ وللولد حالان حال فى صغره عند التربية يؤخذ بهذه ﴾

يجب أن يصغر الطعام في عينه و يقبح لديه الشره والنهم

ويؤمر أن يأكل من بين يديه خاصة ولا ينظر الى أحد من الحضر

ويعوّد القناعة بادون الاطعمة و يؤمر بخدمة الناس

ويجعل طعامه وقت الفراغ من وظائف الاشتغال

ويجعل عادته السخاء والخدمة ويمنع من التكاسل ويحث على النشاط

ويحذر من الاقوال القبيحة كالشتم والحلف

و يعاقب على الكذب والقحة

ويبغض اليه الذهب والفضة ويمنع من سماع حديث الباه

و يؤذن له في اللعب اليسير الخالى من السفه

﴿ وحال فى بلوغه وقت التأديب يجب أن يؤخذ بهذه ﴾

ينبغي أن يطلب له معلما عاقلا حسن العلم يبتدئ به فى كتاب الله تعالى لا يشغله بغيره

ثم يعلم الكتابة والقراءة ويحرض على تجويد الخط

و يعرّف طرفا من اللغة والنحو بقدر قوته و يعتنى بشيء من البلاغة والرسائل

ثم يراض خاطره بالحساب والهندسة واستخراج المجهول بالمعلوم

وليعتنى بالفضائل المختارات واعرابها ومعانيها
وليشتغل بطرف من الفقه ويطالع كتب الاحاديث
ويؤمر مع ذلك باكرام معلمه والمبالغة فى خدمته و يعرف حقه
فعند ذلك يبلغ الى حال يتناول فيه ما ينفعه ويدفع عنه مايضره

﴿ وأما العبيد فثلاث ﴾

(عبـد الطبع) وهو الذى بدنه قوىّ على التعب وليس له فى نفسه تميز ولا معه من العقل الا مقدار ماينقادلغيره ويقرب من البهائم

(وعبـد الرق) وهو الذى أوجبت الشريعة عليـه العبودية و ينقسمون ثلاثة أقسام

(الاول يراد للمنزل) وينبغي أن يكون حسن الوجـه جميل الاخلاق لطيف الشكل ذكياً فطنا عاقلا * وهذا بمنزلة الحواس لان الانسان بهم يعرف أحوال منزله

(الثـاني يراد للمناولة) و ينبغى أن يكون حراً بالطبع ذا نفس لينة ذليلة و بدن متوسط * وهذا بمنزلة اليدين لكونه يتوصل بهما الى أخذ الموافق ومنع المنافي

(الثالث يراد للاعمال الجافية) وينبغي أن يكون حراً ذا نفس قوية وبدن قوى يواتيه على الاعمال الجافية * وهذا بمنزلة الرجلين لان بهما وعليهما كل البدن وثقله

(وعبد الشهوة) وهو الذي لا يملك نفسه لغلبة شهوته وخواطره ومن كان كذلك فهو عبد سوء لا ينتفع به

﴿ وأما سيرة المرء معهم واتخاذه لهم فسنصف ذلك ﴾

ينبغي ان يحفظ عبيده كما يحفظ اعضاءه ويفكر لهم في أمرين * ﴿ أحدهما ﴾ الجنس الذى يجمعه واياهم (الثاني) فيما ابتلوا به ويجب ان يفكر فى جنسهم وانه لو ابتلى بمثل ما ابتلوا به لأحب ان يرزق بمن يلطف به

وينبغي ان يتغافل عن أول زلة ثم يعاتبه على الثانية ثم يحـذره ثم ينذره ثم يعاقبه

وينبغي ان يكون للماليك عند مواليهم مراتب من الاحسان كلما أحسن أحدهم رفعه

وأن يجعلهم أقساما ويرتبهم مراتب يعرف كل امرئ منهم مقامه

وأن يكون غرضه من الرياسة عليهم ان تكون خدمتهم محبـة لا خيفة وطاعتهم رغبة لا رهبة

وينبغى أن يستقصى عليهم في الخدمـة وينيلهم في تضاعيف الخدمة حظا من الراحة

ويجتهد في قضـاء حقوقهم المتقدمـة بقسط من النفع الذي لا يضر بالموالي *

وأن يلقي مجيئهم بالبشر ويقابلهم بالاكرام ويدرّ عليهم رزقهم على عادة العبيد والعامه أيضا *

وينبغى أن يستخلص العامـة لسلطانهم أيضا أولا ويحثهم على طاعته ثم بعد ذلك لنفسه *

﴿ التدبير وهو على ستة أنحاء ﴾

﴿ اتخاذ الحرف ليقيم منها معاشه وما يحتاج اليه ﴾

وينبغى أن لايدنس عرضه بصناعة دنية وان كانت حرفة آبائه

وينبغى أن يعتنى بما كان أعم نفعا وأشرف عند الخاصـة والعامة وليجتهد فى الاحاطة بجزئيات صنعته وكلياتها ليتقدم فيها ويبلغ غايتها

﴿ والقنيات ليستعين بذلك على سائر أموره ﴾

وأشرفها النفس الكريمة والاخلاء الافاضل ثم الضياع والعقار وكل ما ثمرته أشرف وليختر منها ما قرب من العمران وبعد من جوار المتغلبين

﴿ واستعمال الآلات لدوام حاجته اليها واضطراره ﴾

وينبغي أن يكون مسكنه بين أقوام صالحين وسطاً في العمران لا يضيق على رحله

وينبغى أن لايخلي وطنه مما تكثر حاجته اليه ولا يستكثر وان زاد مكسبه فليكثر من التجمل وزينة البيت

﴿ والآداب المستعملة ليحسن حاله ويستقيم عيشته ﴾

منها ما يستعمله الانسان في خلوته عند طعامه

ومنها ما يستعمله في خطابه وعشرة أصدقائه

ومنها ما يستعمله مع العظماء وقد بينا ذلك

﴿ والاعراض النفسانية ليروض بها نفسه كما يروض بالحركة بدنه ﴾

وينبغى أن لا يجزع ولا يحزن على ما يفوته من الحسيات

وينبغى أن لا يفرح بأمور سريعة الانتقال عنه ويعلم ان السرور الدائم في الآخرة فيطلبه

﴿ النحو السادس طلب المرتبة التى تخص كل انسان ﴾

﴿ وهى على ضربين المرتبة الخاصة والمرتبة العامة ﴾

﴿والخاصة على ثلاثة أنواع﴾ الرياسة السلطانية — ورياسة الرعاية والواسطة بينهما — والرياسة السلطانية صنفان رياسة الملك وسنذكرها في الفصل الرابع من الكتاب ان شاء الله تعالى * ورياسة الحشم وهذه على ضربين * رياسة صاحب القلم * ورياسة صاحب السيف ﴿والأولى من هاتين﴾ تحصل بكمال الأدب من الخط والبلاغة وحذق صناعته التي يقصدها ومعرفة رياسته واجزائها على الترتيب ﴿والثانية من هاتين أيضاً﴾ تحصل باستعمال الفروسية والاسلحة وبمباشرة الحروب والوقائع واظهار الشجاعة * وأما رياسة الرعاية فهى صنفان رياسة الدهاقنة ورياسة العلماء ﴿والأولى من هاتين﴾ تحصل بكثرة الاطعام وقضاء الحوائج وبذل المال وبالاهتمام بأحوالهم واظهار النصح والشفقة عليهم ﴿والثانية من هاتين أيضاً﴾ تحصل بثلاثة أسباب بعنايته أولا بجمع العلوم وحفظها

ثم ان يبدأ بالاحمد منها عند الجمهور كالخط والفقه ثم ان يتبع ذلك باظهار الورع والدين والخير * وأما الواسطة بينهما فكرياسة القضاء وتحصل باسباب ثلاثة بمعرفة العلوم الشرعية وأحكامها و بصرف العناية الى أرباب الدعاوى والبينات و بأن يحضر مجالس القضاة دائما ليعرف أحوالهم * فهذا هو اجمال الكلام على تقسيمات المرتبة الخاصة * واما العامة فنوعان مرتبة التجار وأهل المناصب ومرتبة السوقة والجمهور ﴿والأولى من هاتين﴾ تحصل بجمع المال من أحسن وجوهه والاكتساب الدائم المعتدل و باظهار العدل في المعاملات والانصاف من نفسه واظهار السيرة الحسنة ومعاونة الاصحاب ﴿واما الثانية من هاتين﴾ فهي أدنى المراتب وهي مبذولة لكل دنيء النفس

﴿فهذه مراتب الناس وكل واحد منها يطلب على قدر همته وآلته وتمكنه﴾

﴿فصاحب القوة النطقية﴾ أعني من كانت هي الغالبة عليه يطلب شرفها فى العقد وأحمدها عاقبة *

﴿وصاحب القوة الغضبية﴾ يطلب أكثرها غلبة للناس وأعمها رياسة ولو قبح وجهه

﴿وصاحب القوة الشهوانية﴾ يطلب أكثرها نفعا وأجلها راحة وألذها ولو كانت من أخس الوجوه

﴿ القسم الثالث في سيرة الانسان مع أهل نوعه وهي على ثلاثة أنواع ﴾

سيرته مع من فوقه — وسيرته مع اكفائه — وسيرته مع من دونه

﴿ فاما سيرته مع من فوقه ﴾ فهى على أربعة أقسام لان الاعلى اما الآباء — أو المعلمون — أو الرؤساء — أو الملوك وعلى الانسان لكل من هؤلاء خصال واجبة

﴿فعليه نحو الوالدين﴾أن يعتقد حرمتهما اذ توليا ولادته وتربيته وحراسته من الآفات حتى بلغ وأن يلقاهما بالخضوع معظما ومبجلا وأن يعينهما على مطالبهما مساعدا لهما بماله ونفسه و بدنه وجاهه * وان لا يلاحهما فى أمر ولا يخاصمهما ولو أذياه * وأن لا يقطع عليهما حديثاً ولا يداخلهما في كلام * والاّ يظهر منهما شكوى ولا يعصيهما في أمر *والاّ يجلس وهما قائمان بل الواجب العكس * والا يستبيح خدمتهما له ولا يتصدر في مجالسهما

﴿ وعليه نحو المعلمين ﴾ أن يعتقد فضلهم وأنهم أفضل من الوالدين لان الوالدين سبب نشوه * وأما المعلمون فهم سبب حياة نفسه العاقلة وجوهر النفس أشرف فهم ان لم يزيدوا شرفا علي الوالدين فلا ينقصون عنهما فان لم يعتقد ذلك ولم يعمل على موجبه كان ظالماً لهم وغير أهل لما أوصلوه اليه * والاّ يجري المعلمين كلهم مجرى واحداً فانهم مختلفون * ونعني بهم الذين غرضهم تربية النفوس واصلاحها * وأن ينظر اليهم عند احتياج أحد منهم * وأن يقوم بقضاء حقوقهم مبالغا في خدمتهم * وألاّ يكره ما يلقى منهم من الغلظة فى التأديب

﴿ وعليه نحو الرؤساء ﴾ أن يكون بينه وبين الرئيس ملازمة دائمة

لما هو بصدده * وأن يواظب على ما فوض اليه من أمره و يشكره على ذلك سراً وجهراً * وأن يمدح فعله ويحسن ما يأتيه ويكتم أحواله ظاهراً و باطناً * واذا عرض أمر مستقبح لا يعلم مسنده فلا يسنده اليه * وأن يجتهد فى الانتفاع به ولا يظهر الاستغناء عنه * وأن يحذر الشكاية والتألم ان لحقه ملال وضجر * وأن يعلم أن الرئيس كالسيل المنحدر عن الربوة ومتى عارضه وقابله أهلك نفسه * وأن يريه وجه الصلاح لافي مظهر الامر والنهي بل بالاشارة متى ما أمكنه ذلك * وأن يعتقد وجوب نصحه له والاجتهاد فى ذلك

﴿ وعليه نحو الملوك ما تتضمنه الجمل الآتية ﴾ ينبغي للداخل على الملك أن يسلم قائماً على نعله فان استدناه قرب منه فقبل الارض وتنحى عنه * وينبغى الا يبدأه بكلام دون أن يسأله * وأن يجيب اذا سأله بخفض صوت فان سكت الملك فلينهض وان كان له طريقان عدل عند خروجه عن نظر الملك ثم يعود اذا طلبه باذن ثان * ولا يطيل الجلوس * وينبغى أن يبسط في مطعمه ومشربه بحضرته * والا يرفع صوته * والا يحرك شيئا من أعضائه في حضوره * والا يكثر الالتفات والا يقطع حديثه بكلام له وان كان حسنا * والا يضحك عند حديثه ولا يظهر التعجب منه ولا يعيد عليه حديثه له الا ان استعاده منه وان يخدم الملك بالنصح والوفاء وترك الدالة وان قطع الملك الحديث لشغل عرض له فليقطع خوفا من أن يحوجه الى الاصغاء وهو يريد شغلا آخر

فمن سلك هذا السبيل فى السير مع اولئك كلهم كان جديراً بالسلامة ونيل الحظوة ودرك البغية واصابة الامنية وجميل العافية

﴿ وأما سيرته مع أكفائه وهم ﴾

اما اخوة — واما اصدقاء — واما أعداء — واما متوسطون فكما يأتى

﴿ اما الاخوة ﴾

فليس جعل الاختيار في اتخاذهم اليه حتى يختار الافضل فالافضل لكنه على حسب مايتفق له لكون ذلك الى غيره * ويجب ان يسير معهم بهذه السيرة

يجب ان يحافظ على مراتب الاخوة وينزل كل واحد منهم منزلته التى يستحقها

ويجب ان يخاطب كلا منهم على قدر عقله وعمله وفضله ومحله من السلطان

ويجب ان يتخذ من كان منهم ذا حظ وسعادة كالوالد وينزّله منزلة الرئيس

وان كان مساويا له فينزله منزلة نفسه ومن كان صغيراً أو دونه فى العقل والتدبير منزلة الولد

وان يحسن الى سائرهم اذا أمكنه ولا يغفل عن خدمتهم وقضاء حقوقهم

وقد ذكرنا ما يجب على الانسان فى باب الوالد والولد وسيرته معهم

واما الاصدقاء فهم نوعان

﴿ أصدقاء مخلصون ــ وأصدقاء في الظاهر ﴾

(أما الأولون فسيرته معهم على هذه الاداب) .

ينبغى ان لا يؤاخــذهم بالتقصير ولا يجازيهم عليه ولا يعاتبهم عتاباً مفرطــاً *

وليدم ملاطفتهم ويتعهد أسبابهم ويهد ما يستحسنه اليهم *

ويجتهد فى الاستكثار منهم فان الصديق زين المرء وعضــده وناصره ومذيع فضائله *

وأفضل ما استعمل المرء مع أصدقائه مواساته لهم بما يمكنه *

وليتفقد أقاربهم وعيالهم اذا ماتوا فان من فعــل ذلك رغب في صداقته كل أحد *

وينبغى ان يبدأهم بالــبر ولا يحوجهم الى مســألة و يسأل عمن غاب ممن حضر *

﴿ وأما الآخرون فسيرته معهم على هذه الآداب ﴾

ينبغي ان يجــاملهم ويحسن اليهــم ولا يطلعهم على شئ من أسراره وعيوبه *

وان لا يلقى اليهم خواص أحاديثه وأحواله ولا يحدثهم بنعمه *

وان يجهتد في استمالتهم والصبر معهم و يعاملهم بحسب الظاهر *

وليعلم ان أول الاشياء علي صدق الاخاء تعهد أحوال الاصدقاء *

وينبغي ان يتعهد حال من غاب منهم ويسأل عنه بحضور الباقين ليستميلهم بذلك *

وينبغي ان يتقبل منهم كل مستصلح الى أكرم مرتبته ليجتهد الباقون فى محبته *

ويجب ان يختار من الاصدقاء طبقات أربع

أهل علم وتدين وحكمة وعقل يفيدونه ويقوّون قوة تمييزه وعلمه *

وأرباب محادثة طيبة في سائر خلواته ويفزع اليهم عند كربه والضجر من أعماله *

وأهل شرف يستعين بجاههم في حوادث زمانه التى لايخلو منها *

وأهل ثروة يستعين بهم فى الهم والغم والعوارض التى يقصد لم شعثها وخير هيفها *

وأما الاعداء فهم على ضربين

(صنف هم ذووالأضغان والاحقاد وسيرته معهم مؤسسة على هذه الواجبات)

ينبغى ان يحترس كل الاحتراس ويستطلع أخبارهم *

ومهما وقف على تدبير أو مكر لهم قابله بما ينقضه عليهم *

وليكثر النكاية منهم الى الولاة وغيرهم لئلا تنجع فيه مكائدهم *

وكل من يئس من صلاحه وتيقن سوء طبعه فلينتهز الفرصة فى أذاه اذا أمكن لئلا يظهر ذلك فيفسد حاله *

﴿ وصنف هم الحساد *وسيرته معهم على هذا ﴾

ينبغي ان يظهر ابدا ما يغيظهم وما يؤذيهم *
وليحذر من دسيستهم ويحتال لظهور حسدهم *
وليعرفهم ماهو فيه من النعم ليموتوا بغيظهم *
ويجب ان يزداد فضلا الى فضله * فقد قيل
﴿ من أزداد فضلا زاد حاسده غما ﴾

﴿ وأما المتوسطون فهم على أربعة أنواع ﴾

﴿ صلحاء — ونصحاء — وسفهاء — ومنافسون ﴾

﴿ أما الصلحاء ﴾ فهم ناس يتبرعون باصلاح الناس *
ويجب مدحهم أبداً على فعلهم ويجتهد في التشبه بهم في سائر أحواله *
وسيرتهم مرضية عند أكثر الناس ومن سار بها عرف بالخير
وحسن النية *

﴿ وأما النصحاء ﴾ فهم المتعاطون النصيحة *
ويجب ان يستمع الى قولهم ولا يعجل الى قبوله الا بعد التأمل *
وليعرف أغراضهم ومقاصدهم ويقف على حقيقة مرادهم *
وليظهر لهم الطاعة والقبول لما يلقون اليه ليستديم صحبتهم *
﴿ وأما السفهاء ﴾ فهم أراذل الناس *
ويجب ان يستعمل معهم الحلم ولا يواتيهم بما هو فيهم من السفه

وان يتلقاهم أبدا بسكون ليعرفوا قلة مبالاته بحالهم فلا يؤذوه *
فان تلقوه بالشتم والسفه تلقاهم بالمحقرة وقلة الاكتراث *

﴿ وأما المنافسون ﴾ فهم ذوو طباع ليست بجيدة
ويجب على المرء ان يقابلهم بمثل فعلهم لانه ان تواضع لهم استضعفوه
فان تكبر علموا ان الذنب في ذلك لهم فيلقوه بالتواضع *

﴿ وأما سيرة الانسان مع من دونه فهي على هذا المنهج ﴾

﴿ متعلمون — ومحتاجون ﴾

﴿ أما المتعلمون فهم على ثلاثة أضرب ﴾

﴿ الضرب الأول ذوو الطباع الجيدة ﴾

وينبغي ان لا يدخر عنهم شيأ من العلوم بل يوصل ذلك اليهم أولا فأولا * وليعرف أقدارهم وأذهانهم ليوصل الى كل واحد منهم بقدر استحقاقه

﴿ الضرب الثاني هم البلداء ﴾

وهم الذين فيهم دنيء ذكاء ولا ترجى براعتهم فليحملهم على ماهو أعود عليهم ليكتسبوا به ماينفعهم *

﴿ الضرب الثالث ذوو الطباع الردية ﴾

وهم الذين قصدهم بالعلم استعماله في الشره وفيما لا يجب
فينبغي ان يحملهم على تهذيب الاخلاق وازالة ذلك من نفوسهم وان لا يعلمهم شيأ من العلوم النافعة الا بعد معرفة صلاحهم

واما المحتاجون فهم أيضا على ثلاثة أضرب

﴿ الضرب الأول الملحون ﴾

وينبغي ان لا يعطيهم ولا يبذل لهم على الحاحهم شيأ وليزجرهم عنه فان علم صدق حاجتهم اسعفهم *

﴿ الضرب الثانى الكاذبون فيما يدعونه ﴾

وينبغي ان يميز بينهم فمن كان كذبه لضرب من التدبير فليواسه ولكن مواساته لهم وسطا من غير منع ظاهر ولا بذل تام *

﴿ الضرب الثالث الصادقون فيما يظهرونه ﴾

ويجب ان يواسيهم بما يقدر عليه ويتهيأ له ولا يجبهم *وليجعل احسانه اليهم بما لا يخل بأحوال نفسه ولا يضيق عليه *

﴿ ويجب على العامل بهذه السيرة العقلية مراعاة هذه الاحوال ﴾

(الأول) أن يعلم بأنه حق على المرءان ينظر الي محاسن الناس ومساويهم ليجتذب المنافع اليه

(الثانى) أن يوظف الأمور وظائفها ويجعل بين طبقاتها حدوداً يظهر له بها الفرق بينها

(الثالث) أن يأخـذ نفسه بتأديبها في احياء عـلم ما علم بالعمل واستجلاب علم ما جهل بالتعلم *

(الرابع) أن لا يكون تأديبه لنفسه فى وقت واحد فانه واجد في كل حين موضع تأديب *

(الخامس) ان يعلم ان منهاج التأديب ايقاظه نفسه ثم لا يمنعه عصيانها من ادامة ايقاظها *

(السادس) ان أول مايأخذ نفسه به اذا همت ببعض الاجابة اعطاء الدين حقه واشعارها حظها *

(السابع) احياء الحزم عند المكاره والصبر عند المصائب والكظم عند الغضب والوقار عند المستجهلات

(الثامن) صحبة الملوك بكتمان السر وبارشاد الاعمال وتقريظ الافعال وتسديد الاقوال والملازمة

(التاسع) تعهد الاخوان باحياء الملاطفة والاستكثار من فوائد الاخوان ثم حفظ اخوان الاخوان

(العاشر) تعهد أهل المكاسرة المتشبهين بالاخوان بالصبر عليهم اما طمعا فى تحويل ذلك صدقاً أو اتقاء عاديتهم

(الحادى عشر) يواسيهم ويمتحنهم بالحفظ عند الغيب وعند الزمانة بجبر الكسر والضعف وعند الحاجة بقضائها

(الثاني عشر) تعهد الصلحاء بالمصافاة والنصحاء بالخلوة والألفاء بالاكرام والخاصة يخصهم بمنزلة نفسه

(الثالث عشر) اسعاف ضعفاء ذوى الرحم بالرحمة وأقويائهم بالتعليم وأكابرهم بالاحسان وأرداهم بالمداراة

(الرابع عشر) مقابلة الاعداء بالأذى مع التمكن وذوى التنصل بالمغفرة وذوى الاعتراف بالرأفة

(الخامس عشر) ملاقاة ذوي الاغتيال بالمناقضة والحساد بالمغايظة وأهل المواثبة بالوقار

(السادس عشر) لقاء أهل المشاتمة بالمحقرة وأهل المنافسة بالمكابرة وذوى الملادغة بالاحتراس

(السابع عشر) أن يأمر في الشبهات بالكف والمجهودات بالارجاء والواضحات بالعزيمة والمستريبات بالبحث

(الثامن عشر) تعهد الجيران بالرفق والصاحب بالمطاوعة والزائر بالتحفة والصديق بالهدية والاكرام

(التاسع عشر) أن يفرق بين خيار الاخوان وشرارهم ونافع الروساء وضارهم ليميل الى ما كان أعود عليه

(العشرون) أن يتعهد المعيشة والحرفة التي يحترف بها ليتوفر كسبه وينمو ماله ويحسن حاله وينتظم

الفصل الرابع فى أقسام السياسات وأحكامها

اللهم انا نحرص على بلوغ الغاية مع طول المشقة * ونشح على زمان العمر لقصر المدة * ونوقظ أنفسنا على الدوام من سنة الغفلة * ونخرجها أبداً الى حسن الفعل من قبيح المطلة * ونتقرب اليك بالتباعد من الهوى ونستريح اليك من تعب البصيرة من العمي

اللهم فاعصمنا من مكايد الشيطان * ولا تكلنا الى النفس الامارة بالسوء * و بلغنا الدرجة العليا برحمتك * والسعادة القصوى بجودك ورأفتك انك على ما تشاء قدير

وقد قدمنا في الفصل الثاني من كتابنا هذا ذكر الاخلاق وعللها وأسبابها واختلاف جواهر الناس فيها * ودللنا على الجميل منها ليتبع ونبهنا على القبيح منها ليجتنب * وأوضحنا أقسام الفضائل وحثثنا عليها * وبينا أجزاء الرذائل وحذرنا منها * فمن وفقه الله تعالى للعمل بما تضمنه فقد ظفر بجميل الذكر فى الدنيا وفاز بجزيل الأجر فى الآخرة .

ثم ذكرنا في الفصل الثالث أقسام السيرة العقلية وفضائلها * وفصلنا فيها ما أجمل المتقدمون من أنواع العلوم الواجب على الانسان معرفتها والعمل بها وهى السيرة التي من سلك سبيلها وساس بها نفسه وبدنه ومنزله ومعاشه نجا من الشرور الدنيوية وتهيأ لاكتساب الفضائل الأخروية * واذ قد أتينا على ما أردنا بيانه وتفصيله مما قدمنا ذكره * فلنورد الآن فى هذا الفصل وهو الرابع ذكر السبب الموجب لاتخاذ المدن والداعى الى اقامة السياسة في العالم *

(فنقول) ان الذى حدانا الى وضع هذا الفصل وايداعه الكتاب بعد كماله معان * منها ان الله جل جلاله لما خص الملوك بكرامته ومكن لهم في بلاده وخولهم عباده أوجب على علمائهم تبجيلهم وتعظيمهم وتوقيرهم كما أوجب عليهم طاعتهم * فقال تعالى (وهو الذى جعلكم

خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات) وقال تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) ومنها ان العامة وبعض الخاصة تجهل الأقسام التى تجب لملوكها عليها وان كانت متمكنة بجملة الطاعة * ومنها السعادة العامة في تبجيل الملوك وتعظيمها وطاعتها * فاختصرنا من الأدب على ما نجعله قدوة لهم واماما لتأديبهم * ولنا في ذلك أجران أما أحدهما فلما نبهنا عليه العامة من معرفة الخاصة — وكذا الأجر فيما يجب علينا من تقويم كل مائل ورد كل نافر اليها

﴿ ولما كان الانسان مفتقراً الى هذه الأمور غير مستغن عنها وهي ﴾

﴿ الغذاء ﴾ ليجعله خلفا لما يتحال من بدنه بالحركة والرياضة

﴿ واللباس ﴾ ليدفع عن نفسه ألم الحر والبرد والرياح

﴿ والمسكن ﴾ ليصون نفسه ويحرسها من تطرق الآفات

﴿ والجماع ﴾ ليبقى به النوع اذ لا سبيل الى بقاء الشخص

﴿ والعلاج ﴾ لتغير الكيفيات التي فيه ولما يناله من تفرق الاتصال احتاج (١) حينئذ الى الصنائع والعلوم التى تعمل بها هذه الاشياء *

ولما كان الانسان الواحد لا يمكنه أن يعمل الصنائع كلها افتقر بعض الناس الى بعض * ولحاجة بعضهم الى بعض اجتمع الكثير منهم فى موضع واحد * وعاون بعضهم بعضا فى المعاملات والاعطاء فاتخذوا المدن لينال بعضهم من بعض المنافع من قرب لأن الله عز

---

(١) قوله احتاج حينئذ جواب لما

وجل خلق الانسان بالطبع يميل الى الاجتماع والانس ولا يكتفي الواحد من الناس بنفسه في الاشياء كلها * ولما اجتمع الناس في المدن وتعاملوا وكانت مذاهبهم في التناصف والتظالم مختلفة وضع الله لهم سننا وفرائض يرجعون اليها ويقفون عندها * ونصب لهم حكاما يحفظون السنن ويأخذونهم باستعمالها لتنتظم أمورهم ويجتمع شملهم * ويزول عنهم التظالم والتعدى الذي يبدد شملهم ويفسد أحوالهم *

ولما كان الشرّ يدخل على الانسان من وجوه يأتى ذكرها جعل له ما يتحفظ به من وقوع الشر * وما يدفعه ويداويه اذا وقع وهى

﴿ اما من نفسه ﴾ ويدفع ذلك بسلوك الطريق المحمودة وضبط النفس واستعمال العقل في كل الامور

﴿واما من أهل مدينته﴾ ويدفع ذلك باستعمال الشرائع والسنن الموضوعة لهم واصلاح الكافة

﴿ واما من أهل مدينة أخرى﴾ ويدفع ذلك بالأسوار والخنادق والحراس ثم اذا وقع بالمحاربة والقتال

فقد تبين بما ذكرنا ان الناس مضطرون الى تدبير وسياسة وأمر ونهى * وان المتولين لذلك ينبغى أن يكونوا أفاضلهم فان من نهى عن شئ أو أمر بشيء فالواجب ان يظهر ذلك في نفسه أولا ثم فى غيره * ولأن كثرة الرؤساء تفسد السياسة وتوقع التشبث * احتاجت المدينة أو المدن الكثيرة أن يكون رئيسها واحداً وأن يكون سائر من

ينصب لتمام التأثير والسياسة أعوانا سامعين مطيعين منفذين لما يصدر عن أمره حتى يكونوا كالاعضاء له يستعملهم كيف شاء ويكون كالحاضر لجميع عمله بحضورهم وانفاذهم أمره ونهيه* وانما اضطر العالم الى سائس ومدبر ليدفع عنهم الاذى الواقع على بعضهم من بعض كما قدمنا حتى يقصد كل أحد منهم الصناعة التي ينتحلها لمصلحة نفسه ومصلحة غيره ممن يحتاج اليها ولا يعوقه عنها عائق فيتم بذلك تعاضدهم وتعاونهم على مصالح عيشتهم واستقامة أمورهم *

ولنبتدئ الآن بذكر أركان المملكة ثم نتبع ذلك بما يجب على الملك الفاضل وما يضطر الى استعماله واتخاذه من الاتباع والأعوان لقيام المملكة وحراستها ودوامها * ونذكر صفاته وصفات كل من أعوانه على التفصيل وما يجب على كل منهم وله والله الموفق للصواب *

أركان المملكة أربعة

﴿ الملك — والرعية — والعدل — والتدبير ﴾

﴿ فالملك ﴾ مضطر الى ستة آلات *

(الأولى) الابوّة وهو ان يكون من أهل بيت الملك قريب النسب ممن ملك قبله وذلك سبب الاتفاق عليه

(الثانية) الهمة الكبيرة وحصول ذلك بتهذيب الاخلاق النفسانية وتعديل القوة الغضبية وذلك لا يكاد ينال الملك الا به

(الثالثة) الرأى المتين وحصول ذلك بالبحث والنظر في تدابير السلف وأخبارهم وتجاربهم وذلك لان ما من أمر الا وهو معرض لمكيدة

(الرابعة) المصابرة على الشدائد وحصول ذلك وتمكنه منه باظهار الشجاعة والقوة واستعمالها و بذلك يستقيم له أمر الملك وقهر الاعداء

(الخامسة) المال الجم وحصول ذلك له باستعمال العدل في الرعية ودوام العمارة و به قوام المملكة ودوامها

(السادسة) الاعوان الصادقون وحصول ذلك بالتلطف بهم ودوام الالتفات والاكرام وبهم يشتد عضد الملك ويقوى قلبه

﴿ ويخصه من السياسات خمسة أضرب ﴾

﴿ الضرب الأول سياسة نفسه ﴾ وينبغي ان يقسم نهاره أقساما (فأوله) لذكر الله تعالى وشكره (وصدره) للنظر في أمر الرعية (ووسطه) لأكله ومنامه (وطرفه) للذاته ولهواته * وان يكون عالماً بالحكمة أو طالباً محباً لها * فقد سأل الاسكندر حكيما من يصلح للملك فقال له اما ملك حكيم أو ملك ملتمس للحكمة * وان يودع قلوب رعيته آثار عدله واحسانه فقد قال حكيم * قلوب الرعية خزائن ملوكها فما أودعت من خير أو شر فهو فيها * وينبغي الا يفرح اذا مدح بغير ما فيه ولا يحزن اذا عيب بما ليس فيه * والا يجزع مما لا بد منه ولا يأتي الأمر في غير حينه * ويجب ان يحافظ على الشكر ويحرص على الاحسان * وينبغي ان يكون جيد الحدس والتخمين

ولا يغيب عنه حال من أحواله * وان يجعل الحق والعدل أمامه ويمتثل ما يأمرانه به * وان يقابل الخطأ من الناس بالصواب الذي في جوهره

﴿ الضرب الثاني سياسة بدنه ﴾ وينبغي ان يقهر شهوته فان من كان عبدها لا يستحق الملك * والاّ يطلق لنفسه من الشهوات الا ما كان جميلا * وأن يكون معرى من الشر متوسطا بين شراسة الاخلاق ولينها * وان لا يكون كسلا ولا بطيء الحركة ولا متغافلا * والاّ يعرّف أحداً مبيته ومنامه * وأن يكون شديد القوّة عالما بالفروسية * وان يكون حسن الصورة مقبول الشكل * وان يكون كامل الاعضاء تامها متمكنا من الحركة * وان يترك الملك لمن يأتى بعده أعمر مما تسلمه * والاّ يركب قبيحاً ولا مأثماً ولا يتكلف مالا يضره تركه * وان يتصفح فى ليله اعمال نهاره فان الليل أجمع للخاطر وان يقدم مصالح ما يتقلده على مصالح نفسه لعود صلاحه اليه

﴿الضرب الثالث سياسة خاصته﴾ وهم اما سائسوا المملكة كالوزير والكاتب والعامل * واما سائسوا بدن الملك كالطبيب والمنجم وصاحب الطعام * واما ندماؤه وأصحاب خلوته وعليه فى جملتهم ان يرسل العيون عليهم سراً وجهراً ليعرف أخبارهم وأسرارهم * وان يرفق بهم ويحميهم كما يحمى نفسه ولا يؤاخذهم بتقصير ما لم يضر * ومن

تأكدت حرمته منهم رفع منزلته ورعى حقه حاضراً وغائباً * وينبغي ألاّ يقبل فيهم قول ساع الا بعد التحقيق واليقين له * وان يراعى مراتبهم ولا يقدم أحداً منهم الا بقدر حاله لئلا يسخط الباقين * ويجب ان يحسن الى الطبيب احسانا كثيراً فانه أمينه على نفسه * وان يتخير جلسائه وندمائه من أعقل الناس وأعلمهم ويقوم بمصالحهم أتم قيام لينتفع بهم فى خلوته

﴿ الضرب الرابع سياسة جمهور الرعية ﴾ وعليه ان يجتهد في استمالة قلوبهم اليه وجعل طاعتهم رغبة لارهبة * وان يبتدئ بالنفقة عليهم ثم باطماعهم فى الرفعة لديه وقرب المنزلة * وان لا يغفل عن البحث عنهم بلطيف الحيل حتى يقف على أسرارهم * وان يجعل محبتهم له اعتقاداً دينياً لا طمعاً في اعراض الدنيا * وان يعرف أكثر أخلاق رعيته ليؤهل كلا لما يصلح له من الولايات * وان يعرف أخبار مجاوريه من الملوك وان يشحن ثغوره بالرجال * وأن يتعهد جنده بجوائزهم ولا يحوجهم الى رفع قضية أو شكوى * وان يسمع قول القائل أو المقول فيه ثم يعاقب الباغي * وان يخلع على من أدخل عليه سرورا لينتشر الذكر الجميل * وان يتفقد عمارات بلاده وأسعار أهلها وأحوال أقواتهم * وان لا يخلي الرعية من وعد ووعيد وايقاع وانجاز ورجاء وخوف * وان يكون آثر الاشياء عنده بسط الخير للناس وتعميمهم بفضله * وان لا يجمع المحسن والمسيء في منزلة واحدة

لئلا يزهد أهل الاحسان فى أحسانهم * وليحسم أسباب التنازع ولا يسهل لهم التحزز لأنه يشتت الكلمة * وان يثنيهم عن اعتقاد رياسة غير رياسته ليرجع الامر بأسره اليه * وان يعمم سياسته سائر أهل مملكته ولا يعاتب على الذنب الصغير و يعفو عن الكبير *

﴿الضرب الخامس سياسة الحروب﴾ وينبغي ان يعلم حال العدو فى كل ساعة ولا يغفل عن أمره — وان يكتم أخباره عن عدوه بكل وسيلة تمكنه و يسترها عمن يخاف سريرته — وان يبذل المال العظيم في مخادعة العدو ومخادعة أصحابه واستمالتهم — والا يثق بمستأمن جهة العدو الا بعد خبرة تامة بحاله و بصفاء نيته — واذا قوى عدوه واستظهر فالصواب ان يستكثر ويلقاه بنفسه بعد احكام أمره — وان كان دونه فليخرج اليه من يثق ببأسه وشجاعته ونجدته ونجابته — وان يجعل في مقدمة عسكره من الأمور المزعجة مايذهل أصحاب العدو * وان يحتال فى ايقاع العذاب بهم اما بقطع المياه عنهم أو القناطر أو بالنار وان يجعل على كل عدة معلومة من عسكره رئيسا من شجعانهم ومجربيهم * وان يتخذ كمينا ولا يهمل خبره و يحذر مع ذلك كمين الاعداء ولا يستصغر عدوه بل يقابله بما يقابل الامر العظيم اذ لا معوّل على ريب الزمان * وان يجعل المحاربة آخر حيلة فان النفقة فيها من النفوس والأموال وفي غيرها من المال فقط فان افادت الحيلة ربح ماله وحقن دماء جيشه

وان أعيت حارب بعد ذلك * واذا تمكن من العدو فلينادِ فى الناس بنشر العدل والامان من القتل * وان يقسم الغنائم على أصحابه و يرضيهم بقدر الامكان * و يقدم من يجب تقدمه * وان يتتبع بعد ذلك الاراجيف حتى ينتهي الى منتهاها فيعاقب مخترعها

﴿ ويجب على الملك ان يحترز من هذه الخصال و يتوقاها ﴾

﴿ الحرص — والعجب — والذم — واتباع الهوى — والتواني ﴾

(وأسباب الذم ثلاثة)

اما كريم قصر عن قدره فاحتمل لذلك صعباً

أو لئيم بلغ مالا يستحق فأورثه ذلك بطراً

أو رجل منعه حقه من الانصاف

ويجب عليه ان لا يغضب لأن القدرة من وراء حاجته

ولا يحلف لانه لا يقدر أحد على استكراهه

ولا يبخل لأنه لا يخاف الفقر

ولا يحقد لأن حضرته تجل عن المجازاة

ولا يلعب لأن اللعب من الفراغ ولا فراغ له

ولا يخاف لان الخوف من عمل الجهال

ولا يحسد الا على حسن التدبير

ولا يثق بالدنيا فانه لا عهد لها

ولا يكاد يستغنى عن هذه

(آخرة تحرسه) بخشية الله تعالى والامتثال لامره
(ودنيا تلذه) بأن يقتصد في استعمال اللذات
(وخاصة تعينه) بأن يودع قلوبهم محبته
(وعامة ترفده) بأن يودع قلبهم هيبته

وقوامها بهذه

(العدل) به تكثر العمارة و يدوم الملك
(والعفة) هى سبب ظهور الهيبة
(والعفو) به يظهر شرف القدرة
(والعقوبة) بها تحرس الرياسة

وليحذر الملك أن يستبطن أو يستكفي أحداً من هؤلاء الاثنى عشر

(الاول) شرير متظاهر بالخير لانه ذو نفاق ومكر
(الثانى) مطرح الدين والمراقبة لانه قليل الوفاء سريع الغدر
(الثالث) حريص شره لكونه يثني باليسير و يطمع بالحقير
(الرابع) مضرور ذو فاقة لانه لا يصفو لمن لا يجبر فاقته
(الخامس) محطوط عن رتبة بلغها لانه ساخط متنكر
(السادس) مهاجر بذنب لم يعف عنه لانه خائف وجل حذر
(السابع) مذنب مع جماعة عفي عنهم وعوقب لانه مغبون مغتاظ
(الثامن) محسن مع جماعة جوزوا ومنع لانه محروم

(التاسع) ذو كفاء من حسدة وأعداء لانه حنق

(العاشر) مستنصر بما ينفع الملك ومنتفع بما يضره لانه مخالف مباين

(الحادى عشر) من كان لعدوّ الملك أرجى منه له لانه يكون بغدره مماثلا

(الثانى عشر) من بغى عليه أعداؤه فوعدوا عليه لان عداوته تنتقل الى من ساعدهم اليه

﴿ ولا يخلو تدبير الملك من أمور أربعة ﴾

(اما من طريق العقل) كطاعة الله وتصديق رسله ومجاهدة النفس على مكارم الاخلاق وأن يجعل بينه وبين هؤلاء حاجزاً منيعاً

(أو من طريق الجود) كالتعطف على أهل المسكنة واكرام ذوى البلاء واغناء طالب الحاجة بحاجته

(واما من طريق السياسة) كالعطاء الكثير على السبب اليسير والعفو عن كثير الجرائم * والعفو عن يسير الذنب * واستعمال المكايد على الاعداء

(واما من طريق الحزم) كترك حسن الظن بكل أحد وكتمان السر وصونه ومعالجة ما يخشى فوته

﴿ ومما يتصل بالتدبير أن يحذر ويجتنب ستة أشياء ﴾

(الاول) الاّ يستوزر غير كاف لان من استوزر غير كاف خاطر بملكه

(الثاني) ألاّ يستشير غير أمين لان من استشار غير أمين أعان على هلكه

(الثالث) ألا يسرّ الى غير ثقة لان من أسرّ الى غير ثقة ضيع سرّه

(الرابع) ألاّ يستعين بغير مستقل لان من استعان بغير مستقل أفسد أمره

(الخامس) ألا يضيع عاقلا لان من ضيع عاقلا دل على ضعف عقله

(السادس) ألا يصطنع جاهلا لان من اصطنع جاهلا أعرب عن فرط جهله

﴿ وأما الرعية فينقسمون أقساما كثيرة فنهم ﴾

(سكان القرى) وهم مثمروا الحرث والنسل والزرع والغرس وباقى الناس محتاج اليهم

(وعمار الاسواق) وهم صناع وبياع بهم تتم أمور الناس وينالون حوائجهم من قرب

(وأرباب الحروب) وهم حرسة المملكة بهم تدفع الاعداء وتؤمن غوائلهم وبهم تفتح المدن والممالك

(وذوو أنساب) وهم اهل الشرف والجاه والقدر كلما كثروا في المملكة كانوا أنبل وهم عدة الملك

(وعلماء) وهم حملة الآثار وخلفاء الانبياء اليهم يرجع فى التحريم والتحليل والتفسير والتأويل

(وحكماء) وهم العارفون بالعلوم الحكمية كالطب والنجوم والحساب والهندسة وأشباه ذلك

(ومتألهون) وهم الذين اقتصروا على العبادة والزهد يوعظ العالم بترهيبهم وترغيبهم

﴿ و بالجملة الرعايا ينقسمون ثلاثة أقسام ﴾

﴿ أخيار أفاضل ﴾ وهم محبوا الخير مبغضوا الشر يأتمرون وينتهون طوعا يؤثرون ما عاد بصلاح الملك والرعية و يختارونه * وحقهم الاكرام والبر والتقديم ورفع المنزلة باختيارهم للمهمات

﴿ وأشرار أراذل) وهم أضداد الاخيار لانه ليس للتأديب فيهم نفع فيهم كالسباع المؤذية طبعاً * وحقهم اذا يئس من صلاحهم ولم تنجع العقوبة فيهم الابعاد لهم الى الاماكن النائية ليؤمن شرهم

﴿ ومتوسطون ﴾ وهم أرباب المكاسب يتكافى قولهم من محمود ومذموم يميلون الى الصلاح مرة والى الفساد أخري * وحقهم استصلاح فسادهم ورد مائلهم وفطمهم عن العادات الرديئة باغفال مرة وعقوبة أخرى كتدبير الطبيب للعليل

﴿ وصلاح هذه الاقسام المقدم ذكرها بهذه الامور ﴾

باستعمالهم فى صناعتهم حتى لا يجدوا فراغاً لفكر في مفسدة

وبالتقدم اليهم فى كل وقت باجتناب الخوض في أسباب السلطان

وبالاخذ للضعفاء من الاقوياء ويساوي الادنين والابعدين في السياسة

وترك التعرض للمظلوم وتسهيل الحجاب له وانصافه من الظالم

وان يجلس لهم فى كل وقت لشكوى أو وصف حال أو مسئلة حاجة

وأن يؤمنوا من الاعداء الخارجين عنهم بسد الثغور وأحكامها

وليحرسهم من قطاع الطريق لئلا ينقطع معاشهم بانقطاع ميرتهم

وليؤمنهم من اللصوص في منازلهم لتكون الثغور مصونة والطرق آمنة وأيدي الاشرار مقبوضة

(ويجب علي الرعية) أن لا يشرعوا في شيء من تعنت السلطان وتتبع أسراره

وأن لا يدعوا النصيحة فى الله تعالى اذا أراد الاقدام على أمر غير جميل

وليجتهدوا فى تحسين العدل عنده وتزيينه وتقبيح الجور وتهجينه

وذلك انما يجب علي خواصهم وعلمائهم اما غير هؤلاء فليس لهم ذلك

واذا عرض لهم مكروه من بعض خواصه فلا يتعرضوا له دون التألم الى سلطانهم

واذا اتفق له سرور أوفرح أظهروا الاستبشار بقدر ما في طوقهم

واذا عرضت بلية أو حزن فليشاركوه في حزنه ويساعدوه على ماهو فيه

وليجيبوه اذا دعا في ليل أو نهار ولا يخالفوا له أمرا وليعتقدوا ذلك دينا

﴿ وأما العدل ﴾

فهو حكم الله تعالى في أرضه والدليل على شرف منزلته اطباق الأمم عليه مع اختلاف مذاهبهم فليس منهم الا من يوصي به ويعرف فضله

﴿ وينقسم ثلاثة أقسام ﴾

﴿ أحدها ﴾ مايقوم به العباد من حق الله تعالى عليهم

كالفرائض وما يتعلق بها والقرابين والضحايا وعمارة الجوامع والمساجد والقيام بالنوافل واستعمال ماأمر الله ورسوله به

﴿ الثاني ﴾ مايقومون به من حق بعضهم على بعض

كاقراض بعضهم بعضا وتأدية الأمانات ورد الودائع والشهادة بالحق وفعل الخير

﴿ الثالث ﴾ مايقومون به من حقوق أسلافهم

كتكفين موتاهم وعمارة مقابرهم وقضاء ديونهم وتربية أيتامهم والصدقة عنهم .

﴿ ومن أعمال العدل ﴾

ان يقسم المرء كل شئ على حقه وفي موضعه

وان لا يخالف السنن الموضوعة له

وان يكون صدوقا في كل ما يتبغي

وان يكون حفوظاً لمواعيده منجزاً لها

وان يكون رحيما بريئا من الدنس

وان يجتمع فيه الوفاء والأمانة و بعض المساوى

﴿ ومن أعمال العدل عمارة البلدان وهي نوعان ـ مزارع ـ وأمصار ﴾

﴿ اما المزارع ﴾ فهى أصول المواد التى بها يقوم أود الخلق ويلزمه فيها حقوق ثلاثة

﴿ القيام بمصالح المياه ﴾ لينتفع بها القريب والبعيد وكف الأذى عنهم لئلا يشتغلوا بغير الزراعة وتقدير ما يؤخذ منهم بحكم الشرع والعدل حتى لا ينالهم حيف ولا عسف

فان حيف عليهم في شئ من ذلك أو عسف بهم انعكس الصلاح الى ضده

﴿ وأما الامصار ﴾ فهي الاوطان الجامعة والمقصود بها خمسة أمور

﴿ أحدها ﴾ ان يستوطنها أهلها طلباً للدعة والسكون

﴿ الثاني ﴾ حفظ الاموال فيها من الاستهلاك

﴿ الثالث ﴾ صيانة الحريم والخدم من الانتهاك

﴿ الرابع ﴾ التماس ماتدعو الحاجة اليه من متاع وغيره

﴿ الخامس ﴾ ألا يتعرض للكسب وطلب المادة فان عدم فيها أحد هذه الأمور فليست من مواطن الاستقرار

﴿ وتعتبر في انشاء المدن ست شرائط ﴾

﴿ أحدها ﴾ سعة المياه المستعذبة

﴿ الثاني ﴾ امكان الميرة المستمدة

﴿ الثالث ﴾ اعتدال المكان وجودة الهواء

﴿ الرابع ﴾ القرب من المراعى والاحتطاب

﴿ الخامس ﴾ تحصين منازلها من الاعداء والذعار

﴿ السادس ﴾ ان يحيط بها سواد يعين أهلها

﴿ ومنها حراسة الرعية ﴾ وهم امانات الله الذين استودعه حفظها واسترعاه القيام بها وقد تقدم ذكرها *

﴿ ومنها تدبير الجند ﴾ اذ بهم ملك الملك حتى قرر واستولى حتى قدر وسنذكرهم اذا انتهينا اليهم

﴿ ومنها تقدير الأموال ويعتبر من وجهين تقدير دخلها وتقدير خرجها ﴾

﴿ اما الدخل فمقدر من وجهين ﴾ اما بشرع ورد النص فيه بتقديره فلا يجوز ان يخالف

واما باجتهاد ولاة العدل فيما اداهم الاجتهاد فلا يسوغ ان ينقض

﴿ واما الخرج فهو مقدر من وجهين ﴾

﴿ أحدهما ﴾ فيما كانت أسبابه لازمة أو مباحة

﴿ الثاني ﴾ بالمكنة حتى لا يعجزعنها دخل ولا يتكلف معاسف

﴿ ولا يخلو حال الدخل اذا قوبل بالخرج من أحوال ثلاثة ﴾

﴿ أحدها ﴾ ان يفضل الدخل على الخرج وذلك الملك المستقيم والتدبير السليم ليكون فاضل الدخل معرضاً لوجوه النائب معداً

﴿ الحالة الثانية ﴾ ان يقصر الدخل عن الخرج وذلك هو الملك المختل والتـدبير المعتل فتدعوه الحاجة الى العدول عن لوازم الشرع ويؤل الى العطب

﴿ الحالة الثالثة ﴾ ان يتكافأ الدخل والخرج حتى يعتدل وذلك يكون فى زمن السـلامة مستقيما وعنـد الحوادث معتلا فان تحركت به النوائب كده الاجتهاد وثلمه الاعواز

﴿ ويجب على من أنشأ مدينة أو اتخذ مصراً ثمانية شروط ﴾

(أحدها) ان يسوق اليها الماء العذب ليشرب حتى يسهل تناوله من غير عسف

(الثاني) ان يقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق

(الثالث) ان يبنى فيها جامعاً للصلاة في وسطها ليقرب على جميع أهلها

(الرابع) ان يقدر أسواقها بحسب كفايتها لينـال سكانها حوائجهم من قرب

﴿ الخامس ﴾ أن يميز قبائل ساكنيها بأن لا يجمع أضدادا مختلفة متباينة

﴿ السادس ﴾ ان أراد سكناها فليسكن أفسح أطرافها وأن يجعل خواصه محيطين به من سائر جهاته

﴿ السابع ﴾ أن يحوطها بسور خوف اغتيال الاعداء لأنها بجملتها دار واحدة

﴿ الثامن ﴾ أن ينقل اليها من أهل العلم والصنائع بقدر الحاجة لسكانها حتى يكتفوا بهم ويستغنوا عن الخروج الى غيرها

فاذا أحكم ذلك لم يبق عليه لهم الا أن يسير فيهم بالسيرة الحسنى ويأخذهم بالطريقة المثلى

فأما ما يخص الملك من الاتباع والانواع ولا يستغنى عنهم فهم وزير عالم * وكاتب عارف * وحاجب عاقل * وقاض ورع * وحاكم عادل * وعامل جلد * ومال متوفر * ورب شرطة * وجند أقوياء * وحكيم مجرب * وجليس صالح * وصاحب الطعام والشراب

﴿ اعلم ﴾ أنه لا بد لمن تقلد الخلافة والملك من وزير على نظم الأمور * ومعين على حوادث الدهور يكشف له صواب التدبير * ألا ترى ان نبينا صلى الله عليه وسلم مع ما خصه الله تعالى به من الاكرام * وآتاه من الآيات العظام * ووعده باظهار الدين * وأيده بالملائكة المقربين * وهو مع ذلك موفق للصواب * مؤيد بالرشاد * اتخذ علي

ابن أبي طالب كرم الله وجهه وزيرا * فقال (أنت مني بمنزلة هرون من موسى) قال الله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) فلو استغني أحد ممن ذكرنا عن الموازرة والمعاضدة برأيه وتدبيره * لاستغنى نبينا محمد وموسى صلوات الله عليهما وسلامه *

فالوزير هو الشريك في الملك * المدبر فيه بحفظ أركانه * المدبر بالقول والفعل أركانه

﴿ ومن صفاته ﴾

أن يكون حسن العلم بالامور الدينية لأن الدين عماد الملك
وان يكون حسن العقل لان العقل ملاك كل شيء وبه تدبر الأمور
وان يكون شديد الحلم جميل الصفح مالم يضر بالسياسة
وان يكون حلو اللسان بليغ القلم ليخاطب الملوك
وان يكون حميد الأخلاق تام القبول أديب النفس
وان يكون سهل الحجاب مبذول الانصاف ظاهر البشر
وان يكون معمور القلب بالنصيحة معتقد الخير والصلاح
وان يكون قليل اللهو بطيء الغضب كريم الطبع
وان يكون كتوم السر صبوراً محتملا
وان يكون صحيح الجسم والرأي جيد الفكر

ومن جميل العناية بأهل عصرنا أن القائم بتشييد ماذكرنا والمتولى لتدبير ماقدمنا من هو معدن الفضائل الموصوفة ورب الصنائع المألوفة *

والمحاسن المعروفة الذي نشأ وهمته تأخذ باعنان السماء ومكانه من العلم في مناط الجوزاء * بدا بالأدب فبرز في ميادينه * وحمل لواء منثوره وموزونه * فكأن العرب استخلفته على لسانها * والأيام ولته زمام حدثانها * فقد ملئت ساحات همته حكما وعلما * وأوعية أخلاقه كرماً وحلما * لم يأل للدين الحنيفى الا نصيحاً * ولم يدخر للدولة الامامية الا نصرا فليحا * فاستقرت من رأيه الميمون أمور الدولة في مظانها * واطمأنت متمكنة فى مكانها * وانقادت له الأمور بأزمتها * واطاعته المقادير بأعنتها * وتحلت بمحاسن أفعاله النواحي والأطراف وأشرقت بنور رأيه الضواحى والاكناف * وشفع بديع جماله بكريم سجاياه * وعيون صحيفة جوده بطلاقة محياه * وقل من ضمنت خيرا طويته الا وفي وجهه للخير عنوان * أطال الله في السعادة بقاءه * وحرس من عيون الحوادث حوباءه * وأسبغ عليه الظل الظليل الامامي * ونصر بيمن هيبته وسداد رأيه الجيش الاسلامى * ولا زالت دولته مترادفة الازدياد * ومتصلة بيوم المعاد * بمحمد وآله وصحبه آمين * والحمد لله رب العالمين *

﴿ ومما يجب للوزير ﴾

أن يبسطه الملك غاية البسط ويدنيه ويقربه
وان لا يشاور أحدا دونه ولا يقدم أحدا عليه
وان لا يكاتمه شيئاً مما يستعان به في مثله

ولا يخالف له مشورة ولا ينشط أحداً للسعاية به
وان سمعها فليجتنب عنها فان تيقن صحتها صرفها الى أحسن وجهها
وان أدرك زلة غفرها أو كانت له هفوة صفح عنها
وان يتعهده بانعامه واكرامه ولطفه ولا يقطع عنها
وليظهر في الخاصة والعامة صواب تدبيره وحسن قبوله أمره
ليشرح صدره وينشط ويتمكن مما يريد تدبيره

﴿ ومما يجب عليه ﴾

أن يكون خبيراً بأدب التدبير والسنن والفرائض والاحكام
وان يكون ذا نصح للملك وامانة وصدق قول وفعل يعتمد عليه
وان ينهي الى الملك كل كلام يخاف عاقبته على المملكة
ليجمع بذلك صدق الملك ونصحه والخروج من الملائمة عند الحوادث
وأن يدمن النظر فى سير الملوك وتدابيرهم وتجاربهم
وان يجعل نهاره للنظر فى أمور العامة وليله للنظر فى أمور الخاصة
وينبغي ان يوكل بنفسه من يرفع أخباره اليه فيتصفحها فى خلوته
وليمض فى الغد ما وافق الصواب ويتلافى ما يمكن تلافيه
وليكثر عيونه على الخاصة والعامة حتى يعرف اخلاقهم وأحوالهم
وان تكون شفقته على الملك كشفقته على نفسه وعلى الخاصة
كحواسه وعلى العامة كاعضائه

وأن يحسن اختيار من يستعمله في اعمال الملك ولا يسامح أحداً في جنايته

وليتفقد أقوال السعاة ويميز بين المحرج منهم والمتبرع

﴿ وأما الكاتب ﴾

﴿ فهو لسان الملك عند الخاص والعام وله حالتان ﴾

حال الرضى ويبتدئ فيه بالاحماد والاجتباء * ثم المدح والتقريظ * ثم الثناء والدعاء * ثم المكافأة والجزاء

﴿وحال السخط﴾ وفي هذا الحال اما ان تكون ﴿مكاتبة السلطان﴾ وفيها يبتدئ بالاستبطاء * ثم التبكيت والتقريع * ثم العذل والتوبيخ * ثم الانذار والوعيد ﴿ أو مكاتبة الاخوان ﴾ ويبتدئ بالمعاتبة * ثم الاستزارة * ثم الشكاية

﴿ والكتّاب أربعة ﴾

﴿ كاتب حضرة ـ وكاتب جيش ـ وكاتب أحكام ـ وكاتب خراج ﴾

﴿ أما كاتب الحضرة ﴾

فيجب ان يكون ذكياً فطناً بارعاً لسناً

وأن يكون قادراً على تصوير الحق بصورة الباطل وبالضد

وان يكون متأدباً حسن الخط جيد العبارة بليغاً

وان يكون ذا علم بالنحو واللغة والفصاحة عذب الكلام

وينبغي ان يعرف مواقع الجنايات على أيدى المتصرفين
ويجب ان يختار أجل الالفاظ لأجل المخاطبين
وان يجمل أفخم الالفاظ لافخم المعانى و بالضد
وان يعرف مراتب الملوك والمكاتبين فيعطى كلا منهم حقه

﴿ واما كاتب الجيش ﴾

فيجب ان يكون عالما بالحلى وشيات الدواب
وأن يكون خبيراً بالسلاح عارفاً بلغات جنده
وينبغى ان يلزمهم احضارهم بركبهم وخيلهم وعرضهم عليه في كل شهر
وينبغى ان ينهى للوزير ما يحتاج اليه من النفقات والجرايات
وان لا يؤخرهم عنهم قواتهم وعاداتهم لئلا يشتغلوا بالكسب
وينبغى ان يكون له دربة بترتيب العساكر ليقدم من يجب تقديمه
وان يكون ذا علم بجيد الدواب والسلاح ورديئهما

﴿ واما كاتب الاحكام ﴾

فيجب ان يكون عارفاً بعلوم الشريعة وحدودها
وان يعرف مايجب فيه الجلد والقتل والقطع
وان يكون خبيراً بالجنايات وأقدارها
وان يعرف أحكام الدعاوي والبينات
وان يكون له خبرة بالاقرار والانكار وما يجب فيهما
وان يكون عالماً بما يجوز للحر والعبد والمكاتب

وان يكون بصيراً بالشهود وطبقاتهم وشهاداتهم
وان يكون له دربة بأحكام الوكالات ومن تجوز وكالته ومن لا تجوز

﴿ واما كاتب الخراج ﴾

فينبغى ان يكون خبيراً بحفر الانهار ومجارى المياه
وان يكون عارفاً بالمساحات وتخمين الغلات
وان يكون عالماً بفصول السنة ومجارى الشمس
وان يكون بصيراً بالحساب وكسوره وترتيبه
وان يكون له دربة بعقد الجسور والقناطر والمصالح
وان يكون له خبرة بما يدفع من الزرع فى الاراضى
وان يكون بصيراً بأوقات الزرع وأحوال الاسعار
وان يكون عالماً بحقوق بيت المال وما يجب له

﴿ وأما الحاجب ﴾

فهو الواسطة بين الملك وبين من يريد لقاءه ليرتب الناس بين يدى الملك كما يليق بمجلسه

﴿ وصفته ﴾ أن يكون فهما ذا خلق واسع ومنطق بارع
وأن يكون طويلا جسيما وسيما لتروع العيون هيئته وهيبته
وأن يكون ذا عقل وحكمة يدلانه على صواب ما يأتي ويذر
وينبغي أن يكون لا مكفهراً ولا سهلا لين الانقياد
ويجب عليه أن يعرف مراتب الداخلين على الملك فينزلهم منازلهم

ولا ينبغي الاذن عند جلوس الملك ولا يطلقه عند خلوته
ويجب عليه أن يعرف سير الملوك وقواعدهم وخاصة الملك وعامته
وليعرف عذر من تأخر منهم ليجيب السلطان ان سأل عنه
وليأمر من يسير بين يدى الملك ببعدهم عن ركابه
وليمنع العوام من التعرض لركابه بالقصص وليأمر بأخذها منهم
ويجب عليه مراعاة الوزير والامتثال لامره لانه المشار اليه دونه
وينبغي أن يعرف أخبار الملك في كل وقت ويوصل اليه الاخبار
وليأمر البوابين بانهاء ما يرد عليهم لئلا يخفى عنه من دار الملك شئ
وليعرف الاوقات التي يجلس فيها الملك والاوقات التي يكون في خلوته
وينبغي له أن يراعي خواص الملك ويكرمهم ويعرف مواضعهم
ولا يفسح لاحد منهم في الدخول عليه الا باذنه ولو كان ولدا

وأما القاضي فهو ميزان الملك من رعيته

﴿ وصفته ﴾ أن يكون ذا وقار وورع واناءة وزهد
وأن يكون ذكيا فطنا عالما عاقلا عارفا بأدب القضاء
وأن لا يعجل في الحكم قبل ثبوته ولا يتوقف عند التبين
وان يكون فقيها نزها عفيفا خبيرا بمذاهب الناس
وأن يكون ممارسا للامور مستمرا في النوبة بين الخصوم
وأن يكون صادعا بالحق على من وجب عليه غير مراقب
وأن لا يقبل هدية ولا يسمع قول شفيع في شيء من أمور الحكم

وأن لا يأذن لاحد الخصمين دون الآخر بل يخصهما سواء
وأن يكون قليل التبسم طويل الصمت شديد الاحتمال
وأن لا يكلف أحد الخصوم حاجة و يصفح عن سقطاتهم وزلاتهم
ويجب عليه أن يجعل على أموال الايتام والوقوف والمصالح حافظا
وأن يبالغ في التفتيش على الشهود والوكلاء و يعرف أحوالهم
ويجب أن يكون راهب الامة وناشد البرية وعالم الناس في ذلك الوقت

﴿ وأما صاحب الشرطة ﴾

فينبغي أن يكون حليما مهيباً دائم الصمت طويل الفكر بعيد الغور
وأن يكون غليظا على أهل الريب في تصاريف الحيل شديد اليقظة
وأن يكون حفيظا ظاهر النزاهة عارفاً بمنازل العقوبة غير عجول
و ينبغي أن يكون نظره شزراً قليل التبسم غير ملتفت الى الشفاعات
وأن يأمر أصحابه بملازمة المحابيس وتفتيش الاطعمة وما يدخل السجون
وليأمر الحراس من أول الليل الى آخره بتفقد الدروب
والشوارع ويحكم أمرها
ولينظرها آخر وقت ومن يخرج منها عند فتحها فهو وقت الريبة
ويجب عليه عمارة سور المدينة وأبوابها ولمّ شعثها ومعرفة من يدخلها
و يجب عليه اقامة الحدود كما وردت في الكتاب العزيز والعمل بها
وليعلم أن الله تعالي أعلم بصلاح عباده فلا يهمل من حدوده شيئا
واذا أفرج عن أحد من السجن ثم عاد بجرم فليجعل الحبس قبره

وليمنع المظلوم من الانتصار لنفسه بيده بل ينهى حاله ليقابل بما يستحق
ويأمر العامة أن لا يجيروا أحداً ولا ينبهوه للهرب بل يدلون عليه
وينبغي أن تكون عقوبته الخاص والعام واحدة كما أمرت الشريعة

﴿ وأما الجند فهم حملة السلاح وبهم تدفع الاعداء وتؤخذ المدن ﴾

كتب ارسطو الى الاسكندر تفقد جندك فانهم أعداء تنتقم بهم من أعداء

ويجب أن يكون له صاحب من الثقاة والكفاة والهداة العارفين بمكايد الحروب

ويجب أن يكون ايضاً مطيعاً قابلا لما يسار اليه باذلا جهده في نصح الملك

وينبغي أن لا يتخذ من الجند من كان معتاداً للرقة والراحة والتنعم
ويمنعون من اتخاذ الصنائع ويؤخذون دائماً بالرياضة والفروسية
ويتفقد أحوالهم في كل وقت ويوفون أرزاقهم ليشتغلوا بما يؤمرون به

ويجب أن يكونوا متيقظين سريعي الغضب قليلي النوم كثيري الحركة
وأن يكونوا ذوي بأس ونجدة مؤتلفي القلوب على طاعة ملكهم
وليؤمر رؤسهم وقوادهم بعرضهم في كل شهر مرة ويعتبر عدهم
ولتكن قوادهم أرفعهم قدراً وأعرفهم بالوقائع والحروب

وأن يجعل على كل عشرة قائداً وعلى كل عشرة من القواد رئيساً حتى ينتهي الى رب الجيش

وان يقوم بكفايتهم حتى لا يحتاجوا فتدعوهم الحاجة الى أمور ثلاثة
اما ان يتسلطوا على الرعية
واما ان يعدلوا الى من يقوم لهم بالكفاية
وأما ان يشتغلوا بالكسب فلا ينتفع بهم عند الحاجة

﴿ وأما العامل فهو جامع الاموال وعامر الاعمال ﴾

ويجب ان يكون عالماً بأمور السواد
وان يكون ناصحاً فى جميع الأموال عاملاً بالعدل
وان يكون فيه انصاف * وانتصاف وعمارة ونزاهة
وليكن قصده ادرار اموال الرعية وتوفير مال السلطان

﴿ وأما المال فهو قوة الملك وعليه الاعتماد ويحتاج الى أمور أربعة ﴾

﴿ الحث على جمعه ونموه ﴾

ويجب ان يأمر الرعية بالاستكثار من العمارة لان الحماية بالحروب والحروب بخيل ولا تقوم الخيل الا بمال وان يؤاخذ الرعية على التقصير فى الاكتساب

﴿ واختيار من يتولى حراسته ﴾

وينبغى ان يكون الخازن أميناً على مايتولاه * وان يكون عفيفاً غني النفس ذا مال * وان يكون بعيداً من الخيانة غير متشاغل باللهو

﴿ واختيار مكان حرز يحفظه ﴾

ويجب ان يكون فى أحرز مكان وأصون موضع وأبعده عن

النظر وان يباشره بنفسه عند خزنه ويراعيه

﴿ومعرفة وجه الحاجة اليه﴾

وهو انما يراد لسد ثغر وقمع عدو ويراد لدفع مكروه وقوة عاجز ويراد لفك عان وقضاء دين ويراد ليتم به أمور الناس على الاطلاق

﴿وأما الحكيم﴾

فينبغي ان يكون حاذقا لطيفا رقيقا طويل الفكرة *
وأن يكون صحيح الروية كثير الدرس في الكتب القديمة
ويجب ان يكون عالماً بمجرى علم الطب وعمله *
وان يكون كثير العلاج والتجارب عالما بالمجازات
وينبغي ان يكون خيراً ديناً مأمون السيرة
ويجب ان يكون ثوبه نظيفا ورائحته طيبة
وينبغي ان يكون عارفا بالعقاقير والادوية والاغذية
وان يكون عالما بمفردها ومركبها وجيدها ورديئها
وان يكون بصيرا بفصول السنة وأوقات الاعتدال
وليعرف المياه والاهوية والبلدان وما يستعمل فيها
وينبغي ان يكون عارفا بأحكام النجوم وتسييراتها
وان يعتنى بعلم الاختيارات لكثرة حاجة الملوك اليها

﴿واما الجليس﴾

فان الملك يحتاج اليه كحاجته الى الوزير والحاكم وغيرهما

وينبغي ان يكون رجلا من العظماء عاقلا دينا حراً عفيفا

وان يكون متأدبا حسن الاخلاق مسفر الوجه مقبول الصورة

وان يكون معتدل الشكل لا ضخم ولا نحيف بل يكون صحيح الأعضاء

وان يكون نقى الثوب طيب الرائحة بعيداً من المعايب

وينبغي ان يكون ذا معرفة بالنحو واللغة والبلاغة والفصاحة

وان يكون حافظا لصواب الشعر وملحه ومجونه ونوادره

وان لا يخلو من الحكايات والمفاكهة وضروب الامثال فى أوقاتها

وان يكون كتوما للاسرار بعيدا من النميمة حسن المحضر للناس

وليكن خبيرا بخصائص الملوك مبجلا لخواصه مكرما لهم

واذا عرضت للملك حاجة ونظر اليه فليقم فان عاد فليقف حتى يأذن له ثانيا

﴿ وأما صاحب الطعام والشراب ﴾

فينبغى ان يكون ثقة مؤتمنا عاقلا حرا مجلا للملك مجتهدا فى رضاه

وأن يتلطف في منع الملك عن بعض المطاعم التي لا توافقه ويعرّفه وجه المصلحة في تركها

وان لا يعرض عليه طعاماً عرضه مرة قبلها بل يصرفه فى الوجوه الجميلة

ولا يكون بخيلا ولا مضيعا وينبغي أن يتصفح المطبخ أول الاوقات وآخرها لاجل الغذاء والعشاء

وليتفقد الطعام والشراب فى كل ساعة حتى الملح والخل وأشباههما وليكثر مراعاة الآلات فان رائحة الطعام وجودة عرفه وحسن تنضيجه يفتق الشهوة

ويجب أن يكون خبيراً بتنصيص الالوان وترتيبها وأوقاتها ليختار لكل فصل ما يليق به

وينبغي أن يكون عارفا بما يجلب من البلاد من المطاعم والمشارب والجيد منها والمغشوش

وان يكون ذا علم بأدب المجلس بصيرا بتعبيته وبحسن أوانيه

ويجب ان يكون عالما بما يهوى الملك من الاطعمة والاشربة فيبالغ في اتخاذه وتجويده

ونحن ذاكرون من أقاويل القدماء وأهل الفضل ما نجعله خاتمة كتابنا هذا فان للنوادر والوصايا والحكايات والامثال في مثل هذا الفن غناء عظيما وفوائد جليلة

﴿ فمن ذلك ما كتب بعض ملوك الفرس الى حكيم لهم ما الذى يحيي الفتن وما الذي يميتها فكتب اليه ﴾

﴿ أما ما يحييها ﴾ فهو غفلة ملتذ * ويقظة محروم * وضغائن أحيتها أثرة * وأطماع لم يقمعها ذعر * وجراءة ولدها الاستخفاف وأكدها انبساط الالسن بضمائر القلوب * واشفاق موسر من ألم معسر

﴿ وأما ما يميتها ﴾ فهو ذل مسلوب عن سالب * ودرك بغية *

وموت أمل * وذهاب ذعر * وتمكن رعب * وهيبة فى قلوب الاعداء

فأما اختلاف الناس فى آرائهم ومذاهبهم وعاداتهم فهم مختلفوا الطباع في اغراضهم وشهواتهم * فمنهم من يكون قويا فى المعاني التي نذكرها كلها * ومنهم من يكون ضعيفاً فيها كلها * ومنهم من يكون قوياً في البعض ضعيفا فى البعض * وهذه هي المعاني التي ينقسمون اليها

﴿ القسم الاول ﴾ هم المؤثرون الزهد في الدنيا وهم نوعان

(النوع الاول) هم الذين مالوا الى العلوم الدينية كالفقه والتفسير والحديث

(النوع الثاني) هم مختاروا التجرد والانقطاع والسياحة فى الجبال

﴿ القسم الثاني ﴾ هم المؤثرون للآداب الدنيوية وهم أنواع

(الاول) هم الذين ارادتهم اشاعة الخير عنهم بالعلم من غير اشتغال

(الثاني) هم الذين شهوتهم جمع الكتب فقط دون الاشتغال بها

(الثالث) هم مختار وا آداب الروم كالطب والنجوم والفلسفة

(الرابع) هم مقتفوا أثر الفرس في السير وتدبير الممالك

(الخامس) هم الذين يؤثرون علم الانساب والايام والوقائع

(السادس) هم الذين يميلون الى آداب العرب كالشعر والنحو والكتابة

﴿ القسم الثالث ﴾ هم المؤثرون للذات البدنية

﴿ القسم الرابع ﴾ هم المؤثرون للمفاخرة بالمال والجاه

وأما القسم الثالث فعلى أنواع

﴿ النوع الاول ﴾ هم الذين ميلهم الى المطاعم والتأنق فيها والمبالغة في اتخاذها وينقسمون أقساماً

كمن يميل الى الطعوم الدسمة وشبهها

وكمن يمتنع مما تقدم ويستعمل اللبن والبقول

وكمن يختار أكل الطين والاشنان وشبهه

﴿ النوع الثاني ﴾ هم الذين ميلهم الى المشارب واتخاذها وبغية مجالسها وينقسمون أقساما

كمن يهوي الاشربة الحلوة وأشباهها

وكمن يختار شرب الانبذة وأشباهها

وكمن غرضه ما يفسد العقل ويغيره

﴿ النوع الثالث ﴾ هم الذين غرضهم السماع وما يتعلق به وتفضيله على غيره وينقسمون قسمين

كمن يؤثر حسن الصوت فقط

وكمن غرضه آلة مخصوصة من الآلات

﴿ النوع الرابع ﴾ هم الذين مرادهم الباه وجعل كدحهم لأجله لاغير وينقسمون أقساما

كمن يميل الى النساء ومعاشرتهم

وكمن يفضل الغلمان على غيرهم

وكمن يختار النظر دون غيره

وكمن يهوى أن يكون مفعولا به لا فاعلا

﴿ النوع الخامس ﴾ هم الذين يفعلون أمورا قبيحة يألفونها فتصير عادة وينقسمون قسمين

كمن يعتاد تقريض لحيته

وكمن يقلم أظفاره بفيه وأشباه ذلك

﴿ القسم الرابع وهو على أنواع ﴾

﴿ النوع الأول ﴾

هم الذين يختارون معاشرة الأصدقاء واتخاذ الاخوان

﴿ النوع الثانى ﴾

هم الذين يقنون المال ويفتخرون بجمعه وحفظه ومراعاته

﴿ النوع الثالث ﴾

هم الذين ميلهم الى اقتناء الاملاك والعقارات دون غيرها

﴿ النوع الرابع ﴾

هم الذين اثيارهم اقتناء الآلات الجميلة والأدوات الحسنة

﴿ النوع الخامس ﴾

هم الذين اختيارهم علوّ المنزلة عند السلطان والقرب منه

﴿ وينقسمون بعد ذلك الى أقسام ثمانية ﴾

صنف يفعلون الخير طبعا وهذه صفة الأخيار

وصنف يقترفون الشر طبعا وهذه صفة الهوام السمية
وصنف يشكرون المحسن وهذه صفة الشاكرين
وصنف يسيئون الى من أساء اليهم وهذه صفة الحاقدين
وصنف ينكرون الاحسان وهذه صفة كافرى النعمة
وصنف يصبرون على الأذى وهذه صفة ذوى العقول والاحتمال
وصنف يكافؤن الاحسان بالاساءة وهذه صفة الانذال
وصنف يحسنون وان أسئ اليهم وهذه صفة الملائكه من الانس

﴿ وأفعال المرء وأقواله لاتخلو من أربعة أحوال ﴾

﴿الحالة الأولى﴾ الجائزة في العلم غير جائزة في الأدب (١) كالأكل في الأسواق والبول على شوارع الطرق وأشباه ذلك

﴿ الحالة الثانية ﴾ الجائزة فى الأدب غير جائزة في العلم كالشرب فى أواني الذهب والفضة ولبس الحرير والتختم بالذهب وأشباهه

﴿ الحالة الثالثة ﴾ الجائزة في العلم والأدب معا كخدمة الرجل ضيفه وبرّ الوالدين ومجازاة المحسن وبذل المال

﴿ الحالة الرابعة ﴾ الغير الجائزة فى العلم ولا في الأدب كالزنا والسكر والشره والكذب وما أشبه ذلك

ومما يجب على المعتنى باصلاح أخلاقه والمحب لكمال ذاته مراعاة هذه الامور

---

(١) مراده بالعلم هنا الفقه .

أن يغتنم الحياة التى بهافارق الأموات والجماد فيصرف زمانه في المهم دون غيره

وان يحذر من قول بعضهم ان امرؤ ذهبت من عمره ساعة لحري ان تطول حسرته عليها

وان يكون متفقداً لجميع أخلاقه متيقظا لسائر أحواله منتقصاً لمذموم العادات

وان يحترز من دخول النقص عليه وليجتهد فى بلوغه غاية الكمال

وان يكون أبداً عاشقا الصورة الكمال مستلذا محاسن الاخلاق ومحمودها

وان يعتني بتهذيب نفسه فلا يستكثر مايقتنيه من الفضائل والعلوم النافعة

وان يكون مستصغراً للرتبة العليا طالبا غايتها بجهده جاعلا غرضه الاحاطة بها

وان لا يقف عند غاية من العلم الا ويومئ بطرفه الي ما فوقها ليزداد بصيرة

وان يأخذ نفسه بأوامر الله ورسوله وأولى الامر من بعده ليؤدبها بآدابهم

وان يسدد طرفا من علم اللسان ويعتنى بالبلاغة والفصاحة والكتابة والدرس

وان يجعل لشهواته قانونا راتبا يقصد فيه الاعتدال ويجتنب الاسراف

وان يقمع أبداً سورة القوتين الغضبية والشهوانية ويستعمل قوة العقل عليهما

وان يجتنب مخاطبة النســاء والصبيان والعامة والسفهاء ويلازم الصمت عما لا ينبغي

وان يجتنب أيضاً محاكاة الغير بالكلام واستعمال السفه بالالفاظ القبيحة ويترك الحلف

وان يكون سهل اللقاء والبشر والتسـليم سابقا به بعـيدا من الاشرار مستعمل القصد في كل أموره فانه اذا فعل ذلك كان خليقا ان يملك نفسه ويألف حسن السيرة فان الانسان اذا راعى هذه الاشياء وسلك سبيلها صار محببا الى الناس * مقبول القول معظما عندهم * موقرا عند الرؤساء * قوى النفس على الفعل الجميل * قادرا على اطراح الفعل المرذول * وغلب عليه الصـلاح ولحق برتبة أهل الفضل * وصارت الفضائل له ديدنا * أصبح مكرما عند الله تعالى

﴿ وصية لبعض الحكماء تحتها معان نذكرها ﴾

﴿ جوّد عطرك ﴾ معناه وسع معروفك

﴿ وطيب رائحتك ﴾ معناه نظف سمعتك من المعصية

﴿ وقلم أظفارك ﴾ معناه كف لسانك عن المعايب

﴿ وقصر خطوتك ﴾ معناه تمهل فى الأمور

﴿ ونظف ثوبك ﴾ معناه حسن خلقك

﴿ ولا تحقر عدوك ﴾ معناه لا تستصغر اليسير من الهوى

﴿ وقال بعض الملوك لوزرائه ميزوا لى كلمات اذا سمعها عاقل حفظها فقالوا ﴾

لا تحمل على بدنك ما لا تطيق

ولا تعمل عملا ليست لك فيه منفعة

ولا تفتتن بامرأة وان حسنت

ولا تغترن بمال وان كثر

﴿ وقال بعض العلماء ثماني خصال قبيحة وهى بمن نذكرهم أقبح ﴾

(الضيق) من الملوك (وسرعة البطش) من السلطان

(والعظمة) من السفهاء (والتبذير) من النساء

(والجهل) من الاشراف (والبخل) من الاغنياء

(والصبا) من العقلاء (والكذب) من الحكماء

﴿ ومن وصايا العلماء والحكماء ما نحن ذاكروه ﴾

قال حكيم لا يجب أن تحث غيرك على فضيلة مالم تكن كاملة فيك فان فعلك يخبر عن قبول كلامك

وقال آخر ليكن فرحكم فى الدنيا بقدر ما تدخرونه لانفسكم لا بما تقتنونه لغيركم

وقال آخر لا تحضر منازعة فانك لا تخلو من قسط من أذاها ولو بالمطالبة باقامة الشهادة

وقال آخر لا تغر أخاً على أخ فيوشك أن يصطلحا عن قليل وتكسب المذمة بما فعلت

وقال آخر اختر أن تكون مغلوبا وأنت منصف ولا تكن غالباً وأنت ظالم

وقال آخر من استحق منك الخير فلا تنتظر ابتداءه بالمسئلة ليكون أكمل التذاذاً وأهنأ موقعاً

وقال آخر ألشيء الذى لا ينبغي أن تفعله فلا تهوه ولا تحكم من قبل سماع الخصمين

وقال آخر يجب على من اصطنع معروفاً يتناساه وينبغي على من أسدى اليه أن يكون ذكره بين عينيه

وقال آخر الادب يزين الغنيّ ويستر الفقير ومن تشاغل به فأقلّ ما يربح منه أن لا يتفرّغ للخطا

وقال آخر لا تضاد شيئا من الخير ولا تستيقن شيئاً من السيئات واعددنّ أذي فلا تدري متى الدعة

وقال آخر لا ينبغي أن تترك ما هو أفضل من أجل السرور الزائل فتترك السرور الدائم والنعيم السرمدى

وقال آخر أحبب الحكمة وأنصت للحكماء وأطرح سلطان الدنيا فلا تفعل شيئاً في غير وقته وأوانه

وقال آخر لتكن سيرتك مع الناس كلهم بالتواضع ولا تستحقر أحداً لتواضعه ولا تسفه على أحد

وقال آخر لا تفرح بالبطالة ولا تتكل على البخت ولا تندم على فعل الخير والزم العدل في كل أمورك

وقال آخر اذا لم تطعك نفسك فيما تحملها عليه مما تكره فلا تطعها فيما تحملك عليه مما تهوى

وقال آخر احفظ نفسك من التزلل ولا تضحك اذا عثر والجم غضبك لئلا يخرجك من عقلك

وقال آخر احذر أن ترتكب قبيحا فى خلوة أو مع غيرك وليكن استحياؤك من نفسك ا كثر

وقال آخر اذا سمعت كلاماً جيداً أو رديئاً فلا تمتعض من سماعه وان كان لازماً فهون علي نفسك

وقال آخر كلما عذرت نفسك عليه فلا تلم أخاك عليه واذا فعلت فعلا وظهر لك رداءته فلا تعاوده

وقال آخر من التمس الرخص فى المشورة من الاخوان ومن الاطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبه فقد اخطأ الرأى

﴿ وينبغى أن يحترز من هذه الآفات ﴾

(الاولى) آفة الملك سوء السيرة

(الثانية) آفة الوزراء خبث السريرة

(الثالثة) آفة الجند مخالفة القادة

(الرابعة) آفة الامراء مفارقة الطاعة

(الخامسة) آفة الرعية ضعف السياسة

(السادسة) آفة العلماء حب الرياسة

(السابعة) آفة القضاء شره الطمع

(الثامنة) آفة العدول قلة الورع

(التاسعة) آفة الملك تضاد الحماة

(العاشرة) آفة العدل ميل الولاة

(الحادية عشر) آفة الرأى اضاعة الحزم

(الثانية عشر) آفة القوى استضعاف الخصم

(الثالثة عشر) آفة المجد عوائق القضاء

(الرابعة عشر) آفة العزم انتقاض الآراء

(الخامسة عشر) آفة المنعم قبح المن

(السادسة عشر) آفة المذنب سوء الظن

﴿ وصية أوصى بها أرسطو للاسكندر فقال ﴾

اذا استولت بك السلامة فجدد ذكر العطب

واذا هنتك العافية فحدث نفسك بالبلاء

واذا اطمأن بك الأمن فاستشعر الخوف

واذا بلغت غاية الامل فاذكر الموت

واذا أحببت نفسك فلا تجعل لها في الاساءة نصيبا

ولن لأبناء السبيل والطف بهم فى سياستك

وصية أوصى بها بهمن الملك ولده فقال

لا تستشعر القوة فيدهمك العدو

لا تحب الاحتكار فيشملك القحط

تزوج فى الاقارب فهو أمسّ للرحم وأثبت للنسب

لا تهتم بالدنيا لانه ما يكون الا ماقدر الله

ولا تعدّها شيئا لانها لم تبق لاحد قبلك

ولا ترفضها مع ذلك فان الآخرة لا تنال الا بها

واذ قد وفينا بما أردنا تلخيصه وتشجيره في هذا الكتاب وذكرنا في آخر كل فصل من وصايا العلماء والحكماء ماجعلناه خاتمة له * فلنجعل آخر كلامنا هاهنا * ولئن كان سبق المملوك فيما هو الغرض في هذا الكتاب عالم من الناس و بينوه بضروب من البيان * فانه يرجو ان يكون ما أودعه اياه نافعا وزائدا فى بيان ذلك مسهلا لمأخذه مؤكدا له ملخصاً لمبسوطه جامعا لمتفرقه * وهو يسأل من الكريم بسط عذره فيما قصر فيه * وحمله علي باطن الضمير دون ظاهر التقصير *

فما زال استفراغ الوسع مقيلة للعذر والاعتراف بوجوب الحق مانعا من تطرق العتب

تم

خاتمة مصحح الكتاب

ان السعادة والترقي تنقسم حسب تركب الانسان من جزئين كليين الى قسمين عظيمين ﴿احداهما﴾ السعادة التى تقتضيها وتطلبها الاجسام لسد حاجتها * وفي هذا القسم ينتفع بما أجراه الانسان ويجريه من الاختراعات والاكتشافات مما هو معلوم ﴿اما القسم الآخر﴾ فهو ماتقتضيه الروح من سامي الشيم وكريم الاخلاق وحسن المعاملة ومما لا يشتبه فيه انسان أنه لو فشا سوء الاخلاق بين أفراد الأمة الواحدة لاصبح كل ما يخترعونه ويكتشفونه للحصول على السعادة الجسمية وبالا عليهم هـذا ما يحس به كل من أخذت الفطانة بيده لمعرفة حقائق الأمور فمن ذلك يتبين انه من المتحتم ومن أعظم وأقدس الواجبات على الأمة ان يقوموا بتعريف الناس أسباب راحتهم الحقيقية والحض على مكارم الأخلاق على ألسنة النشرات والمجلات والكتب والاسفار ومن غير تقديس هذا الامر فكل ما يعملونه لراحتهم ولذتهم ضلال فى ضلال وظلمات بعضها فوق بعض

عرف ذلك الأقدمون فقاموا بتدوين فنّ الأخلاق وتعريف الناس الفضيلة والحث عليها وتعريفهم الرذيلة والتحذير منها * ولما كان

من أحسن ما كتبوه ومن أنفع ما صنفوه في هذا الفن الكتاب المسمى ﴿بسلوك المالك فى تدبير الممالك﴾ للعالم الفاضل أحمد بن محمد بن أبي الربيع وقام بنشره حضرة الفاضل ذو الهمة العلية ﴿الشيخ محيي الدين صبرى الكردى﴾ وأبرزه في عالم المطبوعات ولكنى لما تصفحت الكتاب وجدته مرتبا ترتيبا ربما أتعب القارئين أعنى ترتيبا على جداول لا يستلزم الحال ترتيبه عليها فرأيت الاليق نشره على الترتيب المعتاد اذ لا لزوم للاغراب كما لا داعي للاتعاب * ثم أخذت فى تصحيحه وتنقيحه أثناء طبعه واهتممت بذلك لانطباعي على بغض رداءة الطبع ورغبة فى اتمام النفع

ثم ان هذا الكتاب يمتاز عن سائر الكتب الاخلاقية بأن صاحبه قد ضمنه من فن تدبير المنزل وفن السياسة جملة كبيرة فجاء حاويا لفنون الحكمة العملية الثلاثة ﴿فن الأخلاق﴾ ﴿وفن تدبير المنزل﴾ ﴿وفن تدبير المدينة﴾ الى غير ذلك من فوائد جليله وابحاث عالية مما لا يوجد الامشتتا فى أثناء كتب الفنون * فها كم أيها الطلاب هذا الكتاب المستطاب قد برز الى عالم التمام والكمال بحسن توفيق الله وتأييده * وفقنا الله تبارك وتعالى للانتفاع بنصائح عباده المخلصين وعلوم علماء عباده العاملين الموفقين آمين

فهرست

سلوك المالك في تدبير الممالك

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿ تمت الفهرست ﴾




Bibliotheca Alexandrina
0428811